مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

ابن القيسراني المقدسي والتصوف

د/ ياسر محمود زكي البتانوني

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة المنوفية

DOI: 10.21608/qarts.2025.401068.2264

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٤) العدد (٦٨) يوليو ٢٠٢٥

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

ابن القيسراني المقدسي والتصوف

الملخص:

يتعرض هذا البحث بالدراسة والتحليل، لشخصية أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسراني (المتوفى ٥٠٧هـ)؛ بوصفه أحد أعلام التصوف السني الإصلاحي في القرن الخامس الهجري؛ حيث جمع بين علم الحديث، والتجربة الصوفية المنضبطة.

وقد هدفت من وراء هذا البحث؛ أن أدرس نموذجًا مميزًا للصوفي الإصلاحي، الذي سعى إلى إصلاح التصوف من الداخل، محافظًا على روحه الأصيلة ومقاصده التربوية، وذلك كمحاولة مني؛ لتسليط الضوء على هذه الشخصية الصوفية المهمة في القرن الخامس الهجري، التي لم تأخذ حقها من الاهتمام، مثل غيرها من صوفية هذا القرن ذوي التوجه الإصلاحي، كالقشيري والغزالي.

ولقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن؛ حيث اقتضت طبيعة البحث ذلك؛ إذ سأقوم بعرض حياة ابن القيسراني، وحال التصوف في عصره؛ من خلال المنهج التاريخي، كما سأستخدم المنهج التحليلي، في تحليل الجانب الصوفي عنده؛ من خلال النصوص التي وردت في مؤلفاته المختلفة، كما أنني سأستخدم المنهج المقارن؛ في مقارنة آرائه بغيرها من آراء العلماء والصوفية.

الكلمات المفتاحية: ابن القيسراني ، التصوف ، الطريق الصوفي ، السماع.

مقدمة:

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بنور الكتاب والسنة، وجعل الهداية في اتباعهما، وجعل التصوف الصحيح طريقًا لتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق وفق ميزان الشريعة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، إمام العارفين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.....وبعد

فإن التصوف، بوصفه بُعدًا روحانيًا وأخلاقيًا في الإسلام، ظل موضوعًا محوريًّا في الفكر الإسلامي عبر العصور، وقد ظهر فيه أعلامٌ سعوا إلى ضبطه بضوابط الشريعة، وتنقيته من الانحرافات، وربطه بالعلم والعمل. ومن هؤلاء الأعلام الإمام محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني المتوفى ٥٠٧ هجرية، أحد أعلام التصوف السني الإصلاحي في القرن الخامس الهجري، وأحد الذين جمعوا بين علوم الظاهر والتعمق في السلوك الصوفي بضوابط أهل السنة والجماعة.

ولذلك فقد آثرة أن أقوم بهذا البحث، وعنوانه (ابن القيسراني المقدسي والتصوف)؛ لتقديم نموذجًا مميزًا للصوفي الإصلاحي، الذي سعى إلى إصلاح التصوف من الداخل، محافظًا على روحه الأصيلة ومقاصده التربوية، وذلك كمحاولة مني؛ لتسليط الضوء على هذه الشخصية الصوفية المهمة في القرن الخامس الهجري، التي لم تأخذ حقها من الاهتمام، مثل غيرها من صوفية هذا القرن ذوي التوجه الإصلاحي، كالقشيري والغزالي.

ولقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن؛ حيث اقتضت طبيعة البحث ذلك؛ إذ سأقوم بعرض حياة ابن القيسراني، وحال التصوف في عصره؛ من خلال المنهج التاريخي، كما سأستخدم المنهج التحليلي، في

تحليل الجانب الصوفي عنده؛ من خلال النصوص التي وردت في مؤلفاته المختلفة، كما أنني سأستخدم المنهج المقارن؛ في مقارنة آرائه بغيرها من آراء العلماء والصوفية.

وقد جاء هذا البحث في أربعة مباحث وخاتمة :

المبحث الأول: تعرضت فيه لحياة ابن القيسراني ورحلته في طلب العلم وبعض شيوخه وتلامذته ومؤلفاته، وحال التصوف في عصره.

المبحث الثاني: خصصته للحديث عن انخراط ابن القيسراني في التصوف، ولبسه خرقة القوم، ومنهجه في التصوف، وكيف أنه كان من الصوفية الإصلاحين المتشرعين الذين التزموا في تصوفهم بالكتاب والسنة.

المبحث الثالث: تناولت فيه معالم الطريق الصوفي عند ابن القيسراني، وفيه بينت أن أصل الطريق الصوفي عند يكمن في مجاهدة النفس بالمجاهدة ، ثم تعرضت لمقامات وأحوال الطريق عنده.

وأخيرا تأتي الخاتمة: وقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث.

وإني لأرجو من الله العلي القدير؛ أن يحقق هذا البحث الهدف المرجو منه، وأن يكون إضافة للدراسات الإسلامية والصوفية، والله الموفق لما فيه السداد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: حياة ابن القيسراني والتصوف في عصره.

لا شك أن حياة أي مفكر، والبيئة التي نشأ فيها؛ هي- بحق- المدخل الرئيس لمعرفة توجهاته الفكرية؛ إذ إن حياة أي مفكر، لا تنفصل عن فكره، وفكره لا ينفصل عن حياته.

لذا وجب علينا، أن نستهل هذا البحث بالحديث المقتضب، عن حياة ابن القيسراني المقدسي ونشأته الفكرية، وحال التصوف في عصره، وذلك بايجاز دون تفصيل؛ لبيان أثر ذلك على توجهاته الفكرية، واهتمامه بالتصوف وقضاياه.

أولًا/ حياته وبيئته الفكرية:

١ـ اسمه ولقبه وكنيته:

أما اسمه: فإنه بالنظر في كتب التراجم والطبقات؛ نجد أن المترجمين له، أو من أتوا على ذكره من المعاصرين له واللاحقين؛ قد اتفقوا على أن اسمه: محمد ابن طاهر بن علي بن أحمد[١]. ولم يشذ عن ذلك، إلا مجير الدين الحنبلي في كتابه "الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل" المتوفى ٩٢٨ هـ، الذي ذهب – بعد أن ذكر

---

(١) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ١١، تحقيق د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٩٢. وأيضا: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد ٤، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٨٧. وكذلك: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١٣٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، تحقيق د/ رياض عبد الحميد مراد، دار ابن كثير، دمشق، ط ٢، ٢٠١٠، ص ٢١. وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٣، دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ٢٨٠. وأبو بكر بن نقطة، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المجلد الثاني، تحقيق أبو إدريس التشادي، دار النوادر بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص ٥٦٣، ٨٨١. وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط ١، ١٩٨٦، ص ٣٠.

الاسم المتفق عليه– إلى القول إنه قيل إن اسمه: علي ابن أحمد بن محمد بن طاهر، منفردا بذلك؛ إذ لم نجد أحدا، قد ذكره بهذا الاسم [١].

وأما عن لقبه: فإننا نجد له عدة ألقاب، منها ما يدل على علو مكانته في علم الحديث، كلقب شمس الحفاظ، الذي ذكره لنا ناسخ كتابه «الحجة على تارك المحجة»[٢]. ومنها ما يدل على مكان مولده، كلقب المقدسي، الذي لقبه به كل ناسخي كتبه[٣]، وغيرهم ممن ترجموا له، وأتوا على ذكره[٤]، وذلك نسبة

---

(١) انظر: مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، ج ١، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ط ١، ١٩٦٦، ص ٢٩٩.

(٢) انظر: ابن طاهر المقدسي، مسند الحجة على تارك المحجة، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٧، ص ٢٩.

(٣) انظر: ابن طاهر المقدسي، معرفة الألقاب، تحقيق/ عدنان حمود أبو زيد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١، ص ٢٢. وأيضا: ابن طاهر المقدسي، تذكرة الموضوعات، تصحيح محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١، ١٣٢٣ هـ، ص ٢. وابن طاهر المقدسي، ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ، المجلد الأول، تحقيق د/ عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٩٩٦، ص ١٨٩. وابن طاهر المقدسي، مسألة العلو والنزول في الحدوث، تحقيق/ صلاح الدين مقبول، مكتبة ابن تيمية، الكويت،١٩٨١، ص ٣٧. وابن طاهر المقدسي، شروط الأئمة الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص ١٧. وابن القيسراني ، صفوة التصوف، تحقيق/ غادة المقدم، دار المنتخب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥، ص ١٥٣. ابن طاهر المقدسي، كتاب السماع، تحقيق/ أبو الوفا المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٢٩.

(٤) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢. وابن نقطة، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المجلد الأول، ص ١٩٩. وشهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ محب الدين بن النجار البغدادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦، ص ١١٤،١١٥. وابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢١. والمقريزي، المقفى الكبير، ج ٥، تحقيق محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ص ٧٣٤.

إلى بيت المقدس التي ولد فيها؛ إذ من الثابت، أن ابن طاهر نفسه، ذكر أنه ولد في بيت المقدس، فتلميذه ابن ناصر السلامي، ذكر أنه سأل ابن طاهر عن مولده؛ فقال له: سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ببيت المقدس(١). ومنها لقب **ابن القيسراني**؛ نسبة إلى بلدة قيسرية بالشام- والذي ذكره أكثر المترجمين له، إلى جانب لقب المقدسي- والذي أرجح أنها موطن عائلته الأصلي، قبل الارتحال والإقامة ببيت المقدس(٢). ومنها لقب الشيباني؛ نسبة إلى قبيلته العربية، التي ينحدر منها نسبه(٣). كما لقب أيضا بالظاهري؛ نسبة إلى

---

(١) انظر: ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج ٤، تحقيق د/ عبد القيوم عبد رب النبي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٩١، ص ٧، ٨. وانظر أيضا: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢، ٩٥.

(٢) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٣٩. مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩. وشهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٣. والسيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ص ٤٥٢. (وقيسرية هي بلد تقع على ساحل البحر المتوسط في فلسطين، كانت قديما من أعيان أمهات المدن، وكانت تمتاز بأنها واسعة الرقعة، طيبة البقعة، كثيرة الخيرات والأهل، وهي بالقرى أشبه منها بالمدن، ينسب إليها: ابراهيم بن أبي سفيان القيسراني المتوفى ٢٧٨ هـ، وعمرو بن ثور القيسراني المتوفي ٢٧٩هـ، وآخرون). انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، مادة قيسارية، ص ٤٢١-٤٢٢. وأيضا: السمعاني، الأنساب، ج ٤، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٨، ص ٥٧٥.

(٣) انظر: شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٢. والذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢. وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٣، ص ٢٨٠. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٣٩. وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط ١، ١٩٨٦، ص ٣٠.

مذهبه الفقهي الذي ينتمي إليه[١]، وكذلك لُقِّب بالأثري؛ نسبة إلى اتباعه الآثار والسنن[٢]، وأخيرا فإنه لقب بالصوفي؛ نسبة إلى جماعة الصوفية، التي اعتقد اعتقادهم، وانتهج نهجهم؛ فأضحى منهم[٣].

وأما عن كنيته: فإن كتب التراجم والسير التي ترجمت له، أجمعت على أنه يكنى بأبي الفضل، ولم نجد له كنية أخرى غيرها[٤].

٢ـ مولده، وحياته العلمية، وأهم شيوخه[٥]:

ولد محمد ابن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسراني المقدسي، في السادس من شوال لسنة ثمان وأربعين وأربعمائة في بيت المقدس، كما أخبرنا هو بذلك[٦].

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص ٣٦١.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٦١.

(٣) انظر: المصدر السابق، ج ١٩، ص ٣٦١.

(٤) انظر مثلا: ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج ٤، ص ٧. ومحمد بن عبد الواحد الدقاق، رسالته في وصف حاله وأمره وشيوخه، تحقيق عبد الرحمن حسن قائد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠١٤، ص ٢٨٢. والذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢. وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٣، ص ٢٨٠. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٣٩. وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٠. والسيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٤٥٢.

(٥) (تجدر الإشارة هنا، إلى أن المقام، لا يسمح بإحصاء كل مشايخ ابن القيسراني؛ وذلك نظرا لارتحاله إلى أكثر من أربعين بلدا؛ لتلقي العلم عن المشايخ والعلماء فيها؛ ولذا سنقتصر هنا، على ذكر أشهر مشايخه، الذين كان لهم أثر كبير في حاله، وتوجهاته الفكرية).

(٦) ابن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات والسؤالات، تحقيق د/ جمال عزون، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط ١، ١٤٣٠ هـ، ص ٤٥. وانظر أيضا: ابن نقطة ، تكملة الإكمال ، ج ٤، ص ٨.

بدأ ابن القيسراني حياته العلمية، مثل أقرانه في ذلك الزمان؛ إذ قضى أعوامه الأولى في بيت المقدس، يؤدَّب مع الصبيان في الكتاتيب، التي كانت المكان الرئيس لتعليم الصبيان القراءة، والكتابة، وحفظ القران تلقينا؛ إذ إن هذا الأسلوب في التعليم؛ كان هو الشائع في بيت المقدس، وغيرها من البلدان المشرقية في هذا العصر(١).

وبعد أن أتم ابن القيسراني هذه المرحله الأولى من التعليم مع أقرانه بنجاح؛ كان لابد أن ينتقل إلى المرحله التالية من مراحل التعليم- وفقا لأسلوب التعليم في هذا العصر- فتوجه إلى المسجد الأقصى، الذي كان في ذلك الوقت، مركزًا علميًّا ثريًّا، تُدرس فيه العلوم الدينية وغيرها، كعلوم القرآن، والحديث، والتصوف، وعلوم العربية من نحو، وصرف، وأدب، وغيرها، على يد نخبة من العلماء المحليين، مع علماء آخرين من مختلف العالم الإسلامي(٢)؛ فنهل من علمهم، وتأدب بأدبهم، وكان ذلك سنة ٤٦٠هـ، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة، وكان أول شيوخه- كما أخبرنا هو بنفسه- الإمام

(١) انظر: ابن جبير، تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار المسمى بالرحلة، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٤٥. وانظر أيضا: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق أبو مازن المصري وكمال سعيد فهمي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ ، ٦٢١. وكذلك انظر: رشا عمر المدني، الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف د/ رياض مصطفى شاهين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٥، ص ٣٣. وانظر أيضا: د/ عبد اللطيف بن دهيس، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وماحولهما، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٨٦، ص ٩، ١١.

(٢) (كان المسجد الأقصي في ذلك الوقت من أهم مراكز العلم في فلسطين، وكان الطلاب يتوافدون عليه من أرجاء العالم الإسلامي؛ لتلقي العلم على نخبة مميزة من العلماء والشيوخ في كل العلوم، وعلى الأخص علم الحديث والفقه، وعلوم العربية من نحو وصرف وأدب). انظر: عبد الحميد جمال الفراني، المؤسسات والمراكز العلمية في القدس، بحث منشور في مجلة الجنان، الصادرة عن مركز البحث العلمي بجامعة الجنان، العدد ٦، دار المنى للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠١٤، ص ١٩٧- ١٩٩. وانظر أيضا: محمد كامل قربلي، الحياة العلمية في القدس في العهد الأرتقي والأيوبي، بحث منشور في مجلة دراسات بيت المقدس، العدد ٢٠، المجلد ٣، إنجلترا، ٢٠٢٠، ص ٤٥٧-٤٥٨.

والمحدث الفقيه، أبا الفتح نصر المقدسي[١]. والفقيه والمحدث أبو عثمان بن ورقاء[٢]، وغيرهم من العلماء والمشايخ، الذين كانوا يُدرِّسون بالمسجد الأقصى بالقدس[٣].

ولما كان ابن القيسراني محبًّا للعلم شغوفًا به؛ فإنه لم يكتف بعلماء القدس وشيوخه؛ فتطلع إلى السفر والترحال لطلب العلم- وخصوصًا علم الحديث وعلومه- فرحل إلى أكثر من أربعين بلدا، وأخذ عن مشاهير العلماء والشيوخ في هذه البلدان[٤]؛ ولهذا قال السمعاني عنه: «ما أظن أحدًا رحل في عصره، مثل رحلته»[٥].

---

(١) انظر: ابن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات، ص ٥٤. (وأبو نصر هو الشيخ العلامة أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي الشافعي، المعروف بابن أبي حافظ، والمشهور بالشيخ أبي نصر، كان زاهدًا جامعًا بين العلم والدين، أقام بالقدس فترة طويلة، بالواجهة التي على باب الرحمة، المعروفة بالناصرية، من تصانيفه كتاب الانتخاب الدمشقي، والحجة على تارك المحجة، والتهذيب، والكافي، وشرح الإشارة، وكانت وفاته يوم عاشوراء سنة ٤٩٠ هـ). انظر ترجمته: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، سنة ١٩٧١، ص ٣٥١-٣٥٢. وانظر أيضا: مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٢) (ابن ورقاء هو أبو عثمان بن أحمد بن محمد بن ورقاء الأصفهاني الحافظ الصوفي، قدم إلى الشام في شبيبته، ودخل بيت المقدس سنة ٤١١ هـ ، وصار شيخ الصوفية بها، روى عنه جماعة من أهل المقدس؛ منهم الفقيه الزاهد أبو الفتح نصر المقدسي، وسلام القطان، ويحيى ابن تمام، وآخرين، وتوفي مستهل صفر سنة ٤٦٥ هـ). انظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص٢٢٥. وانظر أيضا: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥١، ص ١٤٥.

(٣) انظر: شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص١١٣. وأيضا: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص٩٢.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص٩٣.

(٥) المقريزي، المقفي الكبير، ج ٥، ص ٧٣٤.

فلقد رحل ابن القيسراني، إلى بغداد كعبة العلم والعلماء-كما أخبرنا هو- سنة ٤٦٧ هجرية[١]، وتردد على خيرة علمائها ومشايخها؛ فأخذ عن أبي محمد عبد الله الصرفيني[٢]، وأبي الحسن أحمد بن النقور[٣]، وأبي إسحاق الشيرازي[٤]، وغيرهم[٥]؛ فنهل من علمهم، وتخلق بأخلاقهم، من زهد وورع، واستفاد من تجاربهم، ثم عاد إلى

---

(١) انظر: ابن طاهر المقدسي، أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني، ج ١، تحقيق محمود محمد نصار، والسيد يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ٤٣. وأيضا: ابن طاهر المقدسي، المثور من الحكايات، ص ٤٤.

(٢) (الصريفيني هو الإمام الثقة، أبو محمد عبد الله بن محمد ابن هازارمود الصريفيني، خطيب صرفين، قدم بغداد عدة مرات، وكان شيخًا صالحًا خيِّرًا، وكان أحمد الناس طريقة، وأجملهم خليقة، وأخلصهم نية، وأصفاهم طوية، سمع منه كبار المحدثين، وأخذوا عنه، وتوفي سنة ٤٦٩ هجرية). انظر ترجمته: ابن طاهر المقدسي، المؤتلف والمختلف، المعروف بالأنساب المتفقة، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ص ٨٩. وانظر أيضا: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٣) (ابن النقور هو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور البغدادي، مسند العراق في وقته، المولود ٣٨١ هـ، كان شيخا جليلا صدوقا ثقة، يرحل إليه الناس من الأقطار؛ للأخذ عنه، وتوفي ٤٧٠ هجرية). انظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٣٧٢-٣٧٤.

(٤) (الشيرازي هو أبو إسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي، نزيل بغداد، ولد بفيروز آباد سنة ٣٩٣ هجرية، وفاق أهل زمانه بالعلم والزهد، وأقر بعلمه القاصي والداني، رحل الناس إليه من جميع البلاد وقصدوه، وتفرد بالعلم والسيرة الجميلة، والطريقة المرضية، جاءته الدنيا صاغرة فأباها، وكان زاهدا ورعا متواضعا، وتوفى ٤٧٦ هجري). انظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٤٥٢-٤٥٤. وأيضا: شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٣٣-١٣٩.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٦٢. وأيضا: ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج ٤، ص ٧.

موطنه بيت المقدس، حاملًا رسالة من شيخه أبي إسحاق الشيرازي، إلى شيخه أبي نصر المقدسي[١].

وبعد أن أقام فترة في بيت المقدس مع شيوخه؛ عزم على الرحلة إلى مكة، قاصدا الحج والمجاورة، فأحرم من بيت المقدس وحج وجاور، وأخذ يتردد على جِلَّة شيوخ الحرم، كأبي علي الحسن الحناط[٢]، وأبو محمد هياج الحطيني[٣]، وسعد بن علي الزنجاني[٤]، فأخذ عنهم العلم والزهد، وتخرج على يد شيخه الزنجاني في التصوف، والحديث، والسنة[٥].

---

(١) انظر: ابن طاهر المقدسي، المثور من الحكايات، ص ٤٤.

(٢) (أبو علي الشافعي، هو الشيخ العالم الثقة، أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن المكي الشافعي الحناط، حدَّث عنه كثيرون، ومنهم محمد بن طاهر المقدسي، وكان عدلًا ثقة، كثير السماع، وتوفي في ذي القعدة سنة ٤٧٢ هجرية). انظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٣٨٤. وانظر أيضا: ابن كثير، طبقات الشافعية، ج ١، تحقيق عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) (هياج هو أبو محمد هياج بن عبيد بن الحسين الحطيني الشامي الشافعي، فقيه الحرم في عصره، ومفتي أهل مكة، كان ذا ورع وعبادة وزهد وتنسك، وكان أحد عباد الله المخلصين، وأوليائه المقربين، ولد بعد سنة ٣٩٠ هجرية، وتوفي سنة ٤٧٢ هجرية). انظر ترجمته: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٣٥٥-٣٥٦. وأيضا: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٣٩٣-٣٩٥.

(٤) (الزنجاني، هو أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني، شيخ الحرم في عصره، كان جليل القدر، عالما زاهدا، وكان الناس يتبركون به، توفي بمكة بعد سنة ٤٧٠ هجرية). انظر ترجمته: السمعاني، الأنساب، ج ٣، ص ١٦٨. وأيضا: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٣٨٥.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢.

(من الجدير بالذكر، أن الزنجاني وعبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، كان لهما أثر كبير في علم ابن طاهر وحاله؛ ولذلك حينما سُئل عن أفضل من رأى؛ قال: سعد الزنجاني، وعبد الله بن محمد الأنصاري). انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٤.

علـى أن ابـن القيسـراني لـم يكتـف بـذلك؛ فهـمَّ بالرحلـة إلـى العـراق مـرة ثانيـة، ومنهـا إلـى خراسـان طلبـا للعلـم، إلا أن شـيخه سـعد الزنجـاني أشـار عليـه، بالرحلـة إلـى مصـر قبـل العـراق وخراسـان؛ ففعـل ذلـك، ودخـل مصـر سـنة ٤٧٠ هـجرية[١]؛ فسـمع مـن مسـندها أبـي إسـحاق ابـراهيم بـن سـعيد الحبـال[٢]، والقاضـي أبي الحسن علي الخلعي[٣]، كما سمع من آخرين بالإسكندرية، وتِنّيس[٤].

وبعد رحلته إلى مصر، عاود إلى بيت المقدس، وانطلق منها مرة أخرى في رحله طويلة، قاصدا بغداد للمره الثانية، فمر بمدن الشام؛ دمشق، وحلب، والموصل،

---

(١) انظر: ابن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات، ص ٦٩-٧٠.

(٢) (الحبـال هـو أبـو إسـحاق ابـراهيم بـن سـعيد بـن عبـد الله الحبـال، المولـود فـي مصـر ٣٩١ هـ، حـدث عنـه كثيـرون، ومـنهم محمـد بـن طـاهر المقدسـي، وكـان زاهـدا ورعـا صـالحا خيِّرًا ثقـة، وكـان مـن زهده؛ أنـه كـان يخـدم نفسـه، تـوفي فـي شـوال سـنة ٤٨٢ هجريـة). انظـر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٤٩٥-٥٠٢.

(٣) (الخلعـي، هـو الشـيخ الإمـام الفقيـه القـدوة، القاضـي أبـو الحسـن علـي بـن الحسـن الخلعـي، الموصـلي الأصـل، المولـود بمصـر سـنة ٤٠٥ هجريـة، كـان عبـدا صـالحا زاهـدا ورعـا، وكـان مسـند الـديار المصـرية بعـد الحبـال، تـوفي فـي ذي الحجـة سـنة ٤٩٢ هـ). انظـر ترجمته: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٢٥٣-٢٥٥.

(٤) انظـر: الـذهبي، تـاريخ الإسـلام، ج ١١، ص ٩٢. (وتِنِّـيس بكسـر التـاء وكسـر وتشـديد النـون مدينـة مصـرية، تقـع فـي جنـوب غـرب مدينـة بورسـعيد وعلـى بعـد تسـعة كيلـومترات منهـا بحيـرة المنزلـة . كانـت تنـيس زاهـرة فـي العصـور الإسـلامية، وكانـت تقـوم علـى جزيـرة فـي الشـمال الشـرقي مـن البحيـرة، التـي كانـت تحمـل اسـمها فـي العصـور الوسـطى «بحيـرة تنـيس»، بهـا آثـار كثيـرة لـلأول، وأهلهـا كـانوا ذوي يسـار وثـروة، وأكثـرهم حاكـة يحيكـون ثيـاب الشـروب الملونـة التـي لا يصـنع مثلهـا فـي الـدنيا). انظـر: ابـن عبـد المـنعم الحميـري، الـروض المعطـار فـي خبـر الأقطـار، تحقيـق إحسـان عبـاس، مؤسسـة ناصـر للثقافـة، بيـروت، ط ١، ١٩٨٠، ص ٣٧.

وصور، وغيرها؛ فسمع من كبار العلماء والمشايخ بها[١]، ونهل من علمهم، حتى دخل بغداد سنة ٤٧١هـ، فأقام فيها لمدة، جالس فيها العلماء من الفقهاء، والمحدثين، والصوفية[٢].

وحرصا منه على طلب العلم والاستزادة منه؛ رحل من بغداد إلى خراسان؛ فطاف بلادها وقراها، وأخذ عن علمائها ومشايخها، العلم، والزهد والورع[٣]، إلى أن انتهى به الحال، إلى الإقامة والسكن في همذان، التي كانت مقامه الأخير[٤]، وكان يرحل منها إلى الحج كثيرا، إلى أن وافته المنية ببغداد، وهو عائد من الحج، في شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧ هجرية، ودُفن في المقبرة العتيقة بالجانب الغربي من بغداد، وراء رباط البسطامي[٥].

---

(١) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢. وأيضا: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣ ص ١٣٩. (تجدر الإشارة هنا، إلى أن من شيوخ ابن القيسراني بالشام، أحد كبراء الصوفية في الموصل، وهو الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهيكاري، شيخ الإسلام الزاهد العابد الذي كان ينقطع للعبادة في الجبال، ويبتني الأربطة؛ ليأوى إليها المنقطعون من الفقراء والصوفية، والذي توفي سنة ٤٨٦ هـ بالهكارية وهي جبال فوق الموصل) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٦٧ – ٦٨.

(٢) انظر: ابن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات، ص ٦٢-٦٣.

(٣) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢-٩٣.

(٤) انظر: محمد بن عبد الواحد الدقاق، رسالته في وصف حاله وأمره وشيوخه، ص ٢٨٢. وأيضا: ابن نقطة، التقييد، المجلد الثاني، ص ٥٦٤.

(٥) انظر: شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص١١٥. وانظر أيضا: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٧١. وابن نقطة، تكملة الإكمال، ج ٤، ص ٨. وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٨٧.

٣- مذهبه الفقهي وتلاميذه ومصنفاته:

بالنسبة لمذهبه الفقهي: فإن ابن القيسراني، نشأ ببيت المقدس، كما ينشأ عامة طلبة العلم ببلده، متفقها على مذهب الإمام الشافعي. أخذه عن شيخه الفقيه الشافعي، شيخ المذهب في الشام في وقته، أبي الفتح نصر المقدسي، أول من تتلمذ له، وسمع الحديث منه، وعمره -آنذاك- لم يتجاوز اثنتي عشرة سنة(١).

يؤكد ذلك لدينا؛ ما صرح به هو نفسه، في إجابته عمَّن سأله عن السبب في تركه الجهر بقراءة البسملة - بسم الله الرحمن الرحيم- في أول الفاتحة وغيرها من سور القرآن في الصلوات، بعد أن كان يجهر بها مثل الشافعية، فكانت إجابته لتبرير ذلك؛ أن قال: «إنني لما نشأت؛ كنت على مذهب أخذته تقليدا؛ إذ الصبي يكون مذهبه قبل التمييز، مذهب أبويه وأهل بلده؛ فكنت على ذلك حينا...فلما رزقني الله تعالى من العلوم أجلَّها، وأنفعها عاجلا وآجلا؛ دعاني ذلك إلى تناول الصحيح»(٢).

فابن القيسراني، كان شافعيًّا في البداية، على مذهب أبويه وأهل بلدته وأساتذته، ثم بعد ذلك؛ تحول عن المذهب الشافعي، إلى المذهب الظاهري مذهب داوود. وذلك- كما أخبر هو- بعد أن حصل له التمييز والفهم باكتسابه للعلوم التي دعته إلى التحول من المذهب الشافعي الذي اعتنقه تقليدا، إلى المذهب الظاهري الداودي، الذي اختاره بعد فهم وتمييز، وعدَّه الصحيح(٣).

---

(١) ابن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات، ص ٥٤.

(٢) ابن طاهر المقدسي، مسألة التسمية، تحقيق ودراسة عبد الله بن على مرشد، مكتبة الصحابة، جدة، ١٤١٣ هـ، ص ١٩.

(٣) (المذهب الظاهري، هو مذهب فقهي، استقل بأصوله وفروعه، على يد الإمام أبي سليمان داوود بن علي الأصبهاني، المولود في الكوفة في العراق، أوائل القرن الثالث الهجري، والمتوفى
=

وابن القيسراني صرح بنفسه بهذا التحول إلى مذهب داوود الظاهري للفقيه أبي الحسن الكرخي، الذي أخبر السمعاني، حينما سأله عن ابن القيسراني، بأنه كان داوودي المذهب، أخبره ابن القيسراني بذلك، فسأله لم؟ قال كذلك اتفق(١).

ولعل هذا التحول لابن القيسراني إلى المذهب الظاهري- فيما أرى- تم له، بعد أن ارتحل من بيت المقدس- الذي نشأ فيه، وتلقى تعليمه الأولي- إلى العراق، وما وراءها من بلاد المشرق؛ طلبا للعلم على يد مشايخها، الذين كان يغلب على أكثرهم مذهب داوود، وخصوصا بغداد وبلاد فارس، التي كان للمذهب الظاهري الغلبة فيها في القرنين الرابع والخامس الهجريين(٢).

وأما بالنسبة لتلاميذه: فإن القيسراني، لم يتتلمذ عليه الكثير من طلاب العلم، وهذا يرجع؛ إلى أنه كان كثير الاشتغال بالتصنيف، والترحال، فلم يستقر بمكان بعينه،

=

سنة ٢٧٠ هجرية، ولقد كان لهذا المذهب أتباع كثيرون في العراق وفارس وخراسان، وخصوصا من أهل الحديث، ومن أبرز سمات هذا المذهب، التمسك بالنصوص، والتشدد على الظواهر، والقطع بها، وبأخبار الآحاد، وقصر الإجماع على الصحابة، والأخذ بالاستصحاب، وإنكار الرأي والقياس والاعتبار، ونبذ التمذهب والتقليد). انظر: نجم الدين قادر الزنكي، وحسن إبراهيم الحوسني، المذهب الظاهري نشأته ورجاله- أصوله وسماته، بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد ١٩، العدد ٤، ديسمبر ٢٠٢٢، ص ٢٠٥. وانظر أيضا: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، ج ٣، ترجمة د/ محمود فهمي حجازي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩١، ص ٢٥٧.

(١) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٤. وانظر أيضا: المقريزي، المقفى الكبير، ج ٥، ص ٧٣٨.

(٢) انظر: القاضي عياض السبتي، ترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج ١، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، المطبعة الملكية، الرباط، ط ٢، ١٩٨٣، ص ٢٥، ٦٦. وانظر أيضا: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، ١٨٧٧، ص ٤٣٩. وانظر أيضا: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، ج ٣، ص ٢٥٧. وكذلك: ابن طاهر المقدسي، المؤتلف والمختلف، ص ٦٣، ١٣٦.

يأتيه فيه طلاب العلم؛ للأخذ عنه، هذا بالإضافة، إلى أنه لم يعمر كثيرًا؛ إذا عاجله الموت، قبل أن يبلغ الستين عامًا، وعلى الرغم من ذلك، تتلمذ له، وأخذ عنه، جمع غير قليل، كان أغلبهم من كبار حفاظ عصره(١)، منهم شيرويه بن شهردار الديلمي، المحدث الحافظ المتوفى ٥٠٩ هجرية، وأبو نصر أحمد بن عمر الغازي المتوفي ٥٣٢ هجرية، وأبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي المتوفى ٥٣٨ هجرية، وأبو الفضل محمد بن ناصر ابن محمد بن علي السلامي المتوفى ٥٥٠ هجرية، وأبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي المتوفى ٥٧٦ هجرية، ومحمد بن إسماعيل الطرطوسي المتوفى ٥٧١ هجرية، وغيرهم(٢).

وأما بالنسبة لمصنفاته: فقد أجمع غالبية تلاميذه، ومن ترجموا له، على أنه كان كثير التصنيف، وأن مصنفاته كثيرة(٣)، ووصفوا هذه المصنفات؛ بأنها حسنة ومفيدة (٤)، إلا أنهم لم يذكروا من هذه المصنفات الحسنة المفيدة إلا القليل، حتى هيَّأ الله تعالى المؤرخ المصري، تقي الدين المقريزي؛ فاهتم بالبحث عن ترجمة ابن طاهر، وتقصي أخباره وآثاره، ومصنفاته في المصادر المختلفة، فاستخرج منها سبعين مصنفا،

---

(١) انظر: شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٤. وانظر أيضا: المقريزي، المقفى الكبير، ج ٥، ص ٧٣٦.

(٢) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٣-٩٤. وانظر أيضا: صلاح الدين مقبول، مقدمة تحقيق كتاب مسألة العلو والنزول في الحدوث لابن طاهر المقدسي، مكتبة ابن تيمية، الكويت،١٩٨١، ص ١٧-١٨.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٦٣،٣٦٥. وانظر أيضا: شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٣،١١٤. وكذلك انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٣، ص ٢٨١.

(٤) انظر: ابن نقطة، التقييد، ج ١، ص ١٩٩. وأيضا: شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٤،١١٥. وكذلك: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢١.

ساقها لنا مجمعة، في الترجمة التي خصصها لابن طاهر في كتابه المسمى بالمُقَفَّى الكَبِير[١]. وللأسف فإن هذه المصنفات لم يصلنا منها إلا القليل، منها ماهو مطبوع، ككتاب أطراف الكتب الستة، وكتاب الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط، وكتاب تذكرة الموضوعات، وكتاب الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني في رجال البخاري، وكتاب ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ، وكتاب صفوة التصوف، وكتاب السماع، وكتاب شروط الأئمة الستة، وكتاب أطراف الغرائب والأفراد، وكتاب الحجة على تارك المحجة، وكتاب المنثور من الحكايات. ومنها ماهو مخطوط، يحتاج إلى من يخرجه لنا محقَّقًا ومطبوعًا[٢].

ثانيًا / حال التصوف في عصره:

تبين لنا مما سبق؛ أن ابن القيسراني، عاش في الفترة ما بين ٤٤٨ – ٥٠٧ هجرية، أي أنه عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، والعقد الأول من القرن السادس الهجري، وهذه الفترة، شهدت انتشارا موسعا وسيادة للتصوف السني، الذي التزم أتباعه في تصوفهم بالكتاب والسنة.

فبعد أن كان للتصوف في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري والقرن الرابع، اتجاهان: أحدهما سني، يتقيد أصحابه في تصوفهم بالكتاب والسنة، ويربطون

---

(١) المقريزي، المقفَّى الكبير، ج ٥، ص ٧٣٥-٧٣٦.

(٢) (تجدر الإشارة هنا، إلى أن د/ عبد الرحمن الفريوائي، في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن طاهر «تذكرة الحفاظ»، قدم لنا ثبتا علميا شافيا لمصنفات ابن طاهر، حسب موضوعاتها، وهذا الثبت يُعدُّ- بحق- أفضل ما كُتب عن مصنفات ابن طاهر، ولاغنى لمن يبحث في ابن طاهر من الرجوع إليه). انظر: د/ عبد الرحمن الفريوائي، مقدمة تحقيقه لكتاب ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ، لمحمد ابن طاهر المقدسي، المجلد الأول، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٩٩٦، ص ٩٢-١١٥.

أحوالهم ومقاماتهم بها، والآخر شبه فلسفي، ينزع أصحابه فيه؛ إلى الشطحات، وينطلقون من حال الفناء، إلى إعلان الاتحاد والحلول؛ نجد الاتجاه الأول مستمرًا في القرن الخامس الهجري وسائدًا، على حين أن الاتجاه الثاني يختفي في ذلك القرن(١)، بعد أن تعرض أصحابه للهجوم الدائم من الفقهاء ورجال الدين؛ لغلوهم، وغموض ألفاظهم، وإشاراتهم، وما توهمه ظواهرها؛ من الزيغ، والضلال، ومخالفه الشريعة(٢).

ففي القرن الرابع الهجري، تصاعد الخلاف بين الفقهاء والصوفية من أصحاب الاتجاه شبه الفلسفي؛ بسبب تجاوزهم لحدود الشريعة في أقوالهم وسلوكهم؛ مما أثار سخط الفقهاء عليهم؛ فاتهموهم بالبدعة، والزندقة، وكفَّروهم، وجرحوا مذاهبهم(٣). ولكن مع نهاية القرن الرابع الهجري، وبداية القرن الخامس، برز طائفة من الصوفية- ولدوا وعاشوا في القرن الرابع الهجري، وماتوا في القرن الخامس الهجري- جمعوا بين العلم الظاهر والباطن، من أمثال الشيخ أبي علي الدقَّاق، المتوفى ٤٠٥ هجرية(٤)، والشيخ

---

(١) أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٧٣.

(٢) انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٢٣ – ٥٢٤.

(٣) انظر: د/ محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٤، ص ١٣٥ – ١٣٦. وأيضا: د/ أبو العلا عفيفي، الثورة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٣٢ – ١٣٣.

(٤) (الشيخ أبو علي الدقَّاق، هو الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق النيسابوري من كبار المحدثين الصوفية في خراسان، أخذ التصوف عن أبي القاسم النصر آبادي، وكان من أبرز شيوخ عصره، تتلمذ له، وأخذ عنه أبو القاسم القشيري، وتزوج ابنته فاطمة، وقد توفي الدقاق، في نيسابور سنة ٤٠٥ هجرية تقريبا). انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣٢٩. وأيضا: عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق د/ عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٦٢٣.

أبـي عبـد الـرحمن السـلمي النيسـابوري، المتـوفى ٤١٢ هجريـة، صـاحب كتـاب طبقـات الصـوفية، والشـيخ أبـي نعـيم الأصـفهاني المتـوفى ٤٣٠ هجريـة، صـاحب كتـاب حليـة الأولياء وطبقات الأصفياء، والشيخ أبـي سعيد بن أبـي الخير المهينـي، المتـوفى ٤٤٠ هجريـة[١]، وأبـي القاسم عبـد الكـريم القشـيري، المتـوفى ٤٦٥ هجريـة، صـاحب الرسـالة القشـيرية، وأبـي الحسـن الهجـويري المتـوفى ٤٦٥ هجريـة، صـاحب كتـاب كشـف المحجـوب، وشـيخ الشـيوخ أبـي سـعد الصـوفي النيسـابوري، المتـوفى ٤٧٧ هجريـة، صـاحب ربـاط شـيخ الشـيوخ ببغـداد، والشـيخ أبـي إسـماعيل عبـد الله الأنصـاري الهـروي المتوفى ٤٧٧ هجرية، صاحب كتاب منازل السائرين إلى الحق المبين.

هذه الطائفة من الصوفية، نـأوا بأنفسهم عن الاضـطرابات السياسية والمذهبية، التـي كانـت سـائدة فـي تلـك الفتـرة، وشـغلوا أنفسـهم، بـرد التصـوف إلـى أصـول السـنية، وضبطه بالكتاب والسنة؛ وذلك لتقريب التصوف إلى أذواق ومشارب أهل الظاهر من الفقهاء؛ تجنبا لهجماتهم وانتقاداتهم. ولهذا الغرض؛ بادروا إلى تأليف الكتب في آداب الصـوفية، وقـاموا بإثبـات مبـادئهم وتعـاليمهم، مسـتندين فـي ذلـك إلـى الكتـاب والسـنة،

(١) (الشيخ المهيني هو أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير محمد بن أحمد المهيني، المولود في مهينة سنة ٣٥٧ هجرية ، كان من كبار شيوخ الصوفية في خراسان ، وكان من أوائل من حول منزله إلى خانقاه للصوفية، يربي المريدين فيها، وكان مولعا بإقامة حلقات الرقص والسماع الصوفي؛ مما أثار حفيظة الفقهاء عليه ، وكان له أتباع كثر ، توفي سنة ٤٤٠ هجرية بمهينة ، ولم يترك أي مؤلف ، ولكن حفيده محمد ابن المنور، أَلَّف كتابا سماه " أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد" روى فيه حياته، ومقاماته، وأحواله، وأقواله ، وهو يُعدُّ المصدر الرئيس للمعلومات عن الشيخ أبي سعيد) . انظر: محمد بن المنور المهيني، أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة د/ إسعاد قنديل، الدر المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٩٦، المقدمة ص ١٣ – ١٥.

مؤكدين التزامهم بظاهر الشرع، ونبذ الغلو والعبادات الموهمه، واعتبروا الشريعة أساس الطريق الروحي؛ فعملوا على الجمع بين الفقه وبين السلوك الروحي، والانضباط العلمي؛ مما أسهم في تهدئة الخلاف بين الفقهاء والمتصوفة، وساعد على انتشار التصوف السني، وسيادته في القرن الخامس الهجري، واختفاء التصوف شبه الفلسفي(١).

وقد ساعد على انتشار هذه الحركة الصوفية السنية في العالم الإسلامي في تلك الفترة؛ تشجيع الحكام السنيين ودعمهم في تلك الفترة؛ اذ أدرك هؤلاء الحكام، الأهميه الدينية والاجتماعية للتصوف- ولا سيما التصوف السني- المرتبط بالحديث والفقه؛ فعملوا على دعمه ورعايته، ضمن مشروعهم؛ لتثبيت سلطتهم، وتعزيز الهويه السنية، في مواجهة التيارات الباطنية والشيعية.

فقد برز هذا التوجه، في سياسة البلاط السامانى؛ حيث قرَّب حكامهم إلى مجالسهم، العلماء من الفقهاء والمحدثين، ممن اشتهر عنهم الزهد، والتصوف، والولاء للعقيدة السنية؛ فكانوا يستشيرونهم في أمورهم، وأولوهم برعايتهم، وأغدقوا عليهم العطايا(٢)، كما أنشأوا لهم الأربطة، بكثرة في ربوع

(١) انظر: د/ قاسم غنى، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠١٧، ص ٥٠٠ – ٥٠١. وانظر أيضا: آنا شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، ترجمة محمد إسماعيل السيد، د/ رضا حافظ، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٩٧ ومابعدها.

(٢) انظر: إحسان ذنون الثامري، الحياة العلمية في زمن السامانيين، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف أ.د/ عبد العزيز الدوري، الجامعة الأردنية، سنة ٢٠٠٠، ص٤٦ – ٤٧، ٥٧. (وقد ذكر القزويني في كتابه آثار البلاد، أن الغالب على مناطق نفوذ السامانيين في بلاد ماوراء النهر، بناء الرباطات كوقف على سبيل الجهاد وأهل العلم، وذكر أن عدد الأربطة فيها، وصلت إلى عشرة آلاف رباط، في أكثرها إذا نزل الناس بها طعام لهم، وعلف لدوابهم). انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩، ص ٥٥٨.

بلادهم، وأنفقوا عليها[١]، وكذلك أنشأوا لهم الخنقاوات كأماكن للراحة، وتلقي العلم بها[٢].

كما برز هذا التوجه أيضا، لدى الحكام الغزنويين، فالسلطان سبكتكين المتوفى ٣٨٧ هجرية، كان مقربا للزهاد والأولياء، مدافعا عنهم[٣]، وأيضا ولده السلطان محمود الغزنوي، المتوفى ٤٢١ هجرية، كان مقربا للزهاد والصوفية إلى مجلسه، وكان ينفق عليهم بسخاء، بل إنه كان يستدعيهم إلى بلاطه بغزنة؛ ليحسن إليهم، ويقربهم، ويجزل لهم العطاء[٤].

وكذلك برز هذا التوجه بشدة، لدى الحكام السلاجقة ووزرائهم؛ فقد وجدوا في الصوفيه السنية، قوة اجتماعية، تلقى قبولا شعبيا واسعا في المجتمع؛ لبعدهم عن الاختلافات العقائدية، والانقسامات المذهبية؛ فأدركوا أهمية توظيفهم في خدمة مشروعهم السياسي والمذهبي؛ لمواجهة تصاعد المد الباطني والشيعي، الذي كان يمثل خطرا كبيرا على استقرار دولتهم ونفوذهم.

لذلك أولى السلاطين السلاجقة ووزراؤهم، التصوف السني ورجاله عنايه خاصة؛ فدعموهم، وقرَّبوهم من مجالسهم، وأولوهم بالرعاية والعناية، منذ نشأة دولتهم على يد مؤسس الدوله السلجوقية السلطان طغرل بك، المتوفى ٤٥٥ هجرية، والذي

---

(١) انظر: إحسان ذنون الثامري، الحياة العلمية في زمن السامانيين، ص ٨٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٨٨.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٤٨٤ – ٤٨٥.

(٤) انظر: محمد سعيد عثمانة، الحركة العلمية في عصر الدولة الغزنوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف أ.د/ محمد ضيف الله بطاينة، جامعة اليرموك، الأردن، سنة ٢٠٠٦، ص ٨٤. وانظر أيضا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، تحقيق رعمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص ٧٣٤.

عرف عنه، احترامه للمتصوفة في خراسان، وتقديره وتكريمه لشيوخهم؛ فقد ورد أنه حين دخل إلى مدينة همذان، ترجل عن جواده، وأخذ كوكبة من العسكر، ثم سار مع وزيره أبي نصر الكندري، حتى التقى الشيخ المتصوف بابا طاهر العريان، وأصحابه من الصوفية؛ فقبَّل أيديهم وتبرَّك بهم(١).

وبعد وفاه السلطان طغرل بك، استمر السلاطين والوزراء السلاجقة، في دعم الصوفية ورعايتهم، وكان للوزير نظام الملك، الذي تولى الوزارة للسلطان آلب أرسلان، وولده السلطان ملك شاه، فضل كبير في رعاية الصوفية، والاهتمام بهم؛ فقد حرص على خدمتهم؛ فقربهم إليه في مجلسه، وكان كثير الإنعام عليهم(٢)، مدافعا عن شيوخهم؛ إذ أعاد أبا القاسم القشيري، وأبا المعالي الجويني إلى خرسان، بعد أن أبعدهما أبو نصر الكندري- بسبب شافعيتهم- وأكرمهما حينما تولى الوزارة(٣)، وكان معظِّما لهما؛ فإذا دخل عليه أحدهما؛ كان يقوم من مجلسه، ويجلسه مكانه(٤).

---

(١) انظر: محمد بن علي الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة أمين الشواربي وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٦٠ – ١٦١. (وبابا طاهر العريان؛ هو أحد كبار رجال الصوفية، الذين عرفوا بالكرامات في همذان، ولد في أواخر القرن الرابع الهجري، وتوفي في النصف الثاني من القرن الخامس، وقد اشتهر بأشعاره العربية والفارسية (. انظر: د/ سعاد قنديل، فنون الشعر الفارسي، دار الأندلس، بيروت، ط ٢، ١٩٨١، ص ١٧٧ – ١٧٨.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٢٨. وانظر أيضا: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٦، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ص ٣٠٣.

(٣) انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ١٧٦ – ١٧٧.

(٤) انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٦،ص ٣٠٣.

ومن وجوه إعزاز الوزير نظام الملك للصوفية، أنه حينما سئل عن مجالستهم، مع الفقهاء، وأئمة المسلمين؛ قال: هذه الطائفه أركان الإسلام، وهم جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلست كلًّا منهم على رأسي؛ لاستقللت لهم ذلك(١).

وقد اشتهر عن نظام الملك، أنه كان كثير الإنعام على شيوخ الصوفية وعلى أتباعهم؛ الذين كانوا يقصدون مجلسه بشكل دائم، إضافة إلى أنه أكثر من بناء المدارس، والربط، والخوانق لهم، ولغيرهم من العلماء، وأوقف الوقوف؛ للإنفاق عليها(٢).

ومن المفارقات؛ أن يكون هذا الاهتمام المفرط والتعظيم للصوفية، من جانب نظام الملك سببا في قتله؛ إذ إن أعداءه، قد دفعوا إليه صبيًّا ديلميًّا من الباطنية، في هيئة الصوفية، معه قصعة، فدعا له وسأله تناولها، فمد يده ليأخذها؛ فضربه بالسكين في قلبه؛ فمات سنه ٤٨٥ هجرية(٣).

(١) انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٦، ٣٠٣.

(٢) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٢٩.

(٣) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٣٠.

المبحث الثاني: انخراط ابن القيسراني في الصوفية ومنهجه

أولًا/ انخراطه في الصوفية ولبسه لخرقة التصوف:

بادئ ذي بدء، نقول: إن المترجمين لابن القيسراني، والمصنفين المعاصرين له، واللاحقين عليه؛ اتفقوا على أن ابن القيسراني، قد سلك طريق التصوف، وانخرط في الصوفية.

محمد بن عبد الواحد الدقاق الأصبهاني المعاصر لابن القيسراني، والمتوفى ٥١٦ هجرية، ذكر أنه التقى به بجرجان ونيسابور، ووصفه بأنه " كان صوفيا "، وبأن له كتابا في التصوف، سماه صفوة التصوف(١).

وأيضا أبو الفضائل عبد الله بن أبي بكر بن الخاطبة المعاصر له، والمتوفى ٥٢٦ هجرية، ذكر أن ابن القيسراني، كان له معرفة بعلم التصوف وأنواعه، متفننا فيه(٢).

وكذلك اللاحقون عليه، ممن لم يعاصروه؛ أكدوا أنه كان من المتصوفة، وأن له مصنفات في التصوف؛ فابن الجوزي– المتوفى ٥٩٧ هجرية– الذي ولد بعد وفاة ابن القيسراني بثلاث سنوات، ذكر أن ابن القيسراني، كان من الصوفية، وأنه صنَّف كتابا في التصوف؛ لنصرتهم، سمَّاه "صفوة التصوف"(٣).

---

(١) محمد بن عبد الواحد الدقاق، رسالته في وصف حاله وأمره وشيوخه وأهل عصره، ص ٢٨٢.

(٢) انظر: شهاب الدين الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧، ١٣٦. وأيضا: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٤٩.

وأيضا ابن تيمية، المتوفى ٧٢٨ هـ، وصف ابن القيسراني "بالصوفي المشهور"، وذكر أنه صنف للصوفية مصنفات منها: صفوة التصوف، ومسألة السماع[١].

وكذلك شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨ هجرية، أكد أن ابن القيسراني، سلك طريق التصوف، وأنه تخرج في التصوف، على أبي القاسم سعد ابن علي الزنجاني، شيخ الحرم المكي[٢].

وابن كثير المتوفى ٧٧٤ هجرية، هو الآخر، أكد تصوف ابن القيسراني، وأنه صنَّف في التصوف كتبا، منها كتاب السماع[٣].

وابن الملقن، صاحب كتاب "طبقات الأولياء"، المتوفى ٨٠٤ هجرية، ترجم لابن القيسراني في طبقاته، وأخبر أنه ألَّف كتاب "صفوة التصوف"؛ لينتصر لأهل الطريق به، ويبوب لهم أبوابا من السنة، تؤيد آدابهم وسلوكهم[٤]. وعده من جملة مشايخ الصوفية، الذين صحبهم أبو طاهر السلفي[٥].

وهكذا– ومما سبق ذكره– يتبين لنا؛ أن ابن القيسراني، قد سلك طريق التصوف، وأنه يُعدُّ من مشايخ الصوفية في عصره، يدلنا على ذلك؛ أخباره التي أوردها لنا كُتَّاب السير والتراجم، والمؤرخون، وكذلك مؤلفاته التي بين أيدينا.

---

(١) ابن تيمية، الاستقامة، ج ١، تحقيق د/ محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ٢، ١٩٩١، ص ١٦٧.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢١.

(٤) انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٤، ص ٣١٦

(٥) المرجع السابق، ص ٥٠٢ – ٥٠٣.

فالثابت من أخبار ابن القيسراني؛ أنه عاش في عصر، يموج بالتصوف السني– كما سبق أن بينا– وأن أغلب مشايخه، في بداية تحصيله للعلم في المسجد الأقصى، وهو لم يتجاوز اثنتي عشرة سنة؛ كانوا من الزهاد، وشيوخ المتصوفة، كشيخه نصر المقدسي، وأبي عثمان بن ورقاء، وغيرهم؛ فكان لذلك أثر كبير فيه، إذ إنه مال إلى تحصيل علم الحقيقة، بعدما أتم دراسته لعلوم الشريعة، من فقه، وحديث على يد شيوخه في بيت المقدس؛ ولذلك سافر إلى بغداد سنة ٤٦٧ هـ ، وعمره آنذاك لم يتجاوز التاسعة عشر(١)، ملتمسا الاستزادة من علوم الشريعة، وتحصيل علم الحقيقة على يد كبار المشايخ ببغداد، التي كانت– في تلك الفترة– تعج بالعلماء والشيوخ، ممن اشتهروا بالزهد والتصوف، وكانوا يدرسون في جوامعها المنتشرة في ربوعها، كجامع المنصور(٢)، وجامع الشونيزية(٣). وزواياها الكثيرة، كزاوية الشيخ حماد ابن مسلم الدباس الصوفي المتوفى ٥٢٥ هـ، وزاوية الطرثين، التي تنسب إلى الشيخ أحمد ابن

(١) (أخبرنا ابن القيسراني بتاريخ سفره إلى بغداد للمرة الأولى، ومن خلاله؛ حددنا عمره آنذاك ذاك). انظر: ابن طاهر، المنثور من الحكايات، ص ٤٤.

(٢) (من أبرز المراكز العلمية في بغداد في القرن الرابع والخامس الهجري، أنشأه الخليفة أبو جعفر المنصور، بجانب قصره ببغداد سنة ١٤٥ هجرية، كانت تعقد حلقات العلم للفقهاء والمحدثين والصوفية، وغيرها من العلوم الشرعية، وكان العلماء من الصوفية، يقيمون فيه، وخاصة في شهر رمضان، وكانوا يتناوبون الإمامة على صلاة التراويح، ويعقدون مجالس الوعظ لابن السمَّاك أحمد بن الحسين الواعظ وغيره، يتكلمون فيها على طريقة أهل التصوف). انظر: د/ قاسم حسن السامرائي، جامع المنصور ببغداد وأثره في تطور الحركة الفكرية في العصور العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢، ص ٦، ٣٤.

(٣) (هذا الجامع، أقيم بالجانب الغربي من بغداد، بالقرب من مقبرة الشونيزية، التي تحوي قبور كبار الشيوخ من الصوفية من أمثال معروف الكرخي، والجنيد، وجعفر الخلدي، ورويم، وسمنون، وغيرهم، وكان يقصده المتصوفة وشيوخهم كخانقاه لهم). انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، مادة الشونيزية، ص ٣٧٤.

علي الطرثيني المتوفى ٤٩٧ هـ[١]. ومدارسها التي ذكر ابن جبير، أنها كانت حينما نزل بغداد حوالي ٣٠ مدرسة، وأن أعظمها وأشهرها، المدرسة النظامية [٢]. وأيضا أربطتها، التي كانت مأوى للفقراء والصوفية، مثل رباط الزوزني[٣]، ورباط شيخ الشيوخ[٤]، ورباط البسطامي[٥]، فكل هذه الأماكن، أشرف عليها كبار الشيوخ من

(١) انظر: السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني، تاريخ تكايا بغداد والمشيخة الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٧ – ٢٨.

(٢) انظر: ابن جبير، تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار المسمى بالرحلة، ص ٢٠٥. (والمدرسة النظامية، هي أشهر المراكز التعليمية ببغداد، أمر ببنائها الوزير السلجوقي نظام الحكم، وأشرف على بنائها، شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفي، وتم افتتاحها سنة ٤٥٩ هجرية، وكان لها دور عظيم في الحركة العلمية والصوفية في القرن الخامس الهجري، ومن أشهر من قاموا عليها والتدريس بها: أبو اسحاق الشيرازي، وأبو المعالي الجويني، وأبو القاسم الدبوسي، وأبو حامد الغزالي) انظر: عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ آل سلجوق ، القاهرة ، ١٨٨٩ ، ص ٣٣.

(٣) (هذا الرباط من أقدم الأربطة في بغداد، بناه أبو الحسن علي بن محمود بن إبراهيم بن ماخرة الزوزني الصوفي، المتوفى ٤٥١ هجرية، في الجانب الغربي من بغداد في مواجهة جامع المنصور، وقد بناه من أجل شيخه، شيخ المتصوفة ببغداد أبي الحسن علي بن إبراهيم الحصيري، المتوفى ٣٧١ هـ؛ ليقيم فيه؛ نظرا لكبر سنه وعدم قدرته على الذهاب للمسجد). انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ٧ ، ص ٢٨٥.

(٤) (ينسب هذا الرباط إلى شيخ الشيوخ أبي سعد أحمد بن محمد النيسابوري، المتوفى ٤٧٩هجرية، نزيل بغداد، الذي باع كل أملاكه في مسقط رأسه؛ ليبني هذا الرباط، لخدمة الصوفية ورعايتهم). انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨، ص ٤٩١ – ٤٩٢. وأيضا: الجامي، نفحات الأنس من حضرات القدس، ج ٢، تحقيق محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٦٨٢.

(٥) (ينسب هذا الرباط، إلى أبي الحسن علي بن أحمد الخرقاني البسطامي، المتوفى ٤٩٣ هـ، وكان الرباط قبله، يسمى رباط أبي الغنائم بن المحلبان، وقد كان البسطامي، يتولى خدمة الصوفية به؛ فعرف الموضع به، ويقع الرباط على شاطئ دجلة بالجانب الغربي من بغداد). انظر: السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني، تاريخ تكايا بغداد والمشيخة الصوفية، ص ٣٣.

المتصوفة في ذلك الوقت، وكانوا يُدرِّسون فيها، ويربون مريديهم التربية الصوفية الصحيحة؛ وفقا للشريعة كتابا وسنة.

لذلك كان توجه ابن القيسراني إلى بغداد، التي كان الجو فيها مفعما بعبير التصوف السني المنضبط، الذي عهده في شوخه في بيت المقدس، فأخذ يتردد على هذه المراكز العلمية(١)، ويحصل العلم بصفه عامة، والحديث والتصوف بصفة خاصة، على يد كبار المشايخ من العلماء والصوفية، ثم عاد إلى بيت المقدس، بعد أن حصَّل علم الحقيقة، إلى جانب علم الشريعة، وعزم على التوجه إلى مكة؛ للحج والمجاورة، وفي مكة، لبس خرقة التصوف، على يد شيخه سعد الزنجاني، الذي أخبرنا الذهبي أنه تخرج في التصوف على يديه(٢).

واستمرارا لشغفه بتحصيل العلم شريعة وحقيقة؛ رحل إلى بغداد مرة ثانية سنة ٤٧١ هجرية، ومنها إلى خراسان، التي كانت معقلا، ومركزا لكبار شيوخ الصوفية والفقه والحديث؛ فصحبهم، وجالسهم، ونهل من علمهم، وتجاربهم، وزهدهم، وكان من أبرز من لقي بها من المشايخ والعلماء، شيخه أبو إسماعيل الهروي الأنصاري، الذي كان له أثرٌ ظاهرٌ في علمه وحاله، وكان دائم المدح له أمام أقرانه؛ لتميزه بينهم(٣)؛ ولذلك صرَّح بأنه من أفضل شيوخه، هو وشيخه الزنجاني(٤).

---

(١) (من هذه المراكز التي أخبرنا ابن القيسراني؛ أنه اعتاد أن ينزل بها كثيرا، في أثناء وجوده في بغداد، مساجدها، ورباط الزوزني). انظر: ابن طاهر، المنثور من الحكايات، ص ٦٢، ٨٨.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٢.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٦٦. (والهروي الأنصاري، هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، من ذرية الصحابي أبي أيوب الأنصاري، ولد في هراة ٣٩٦ هـ، وكان شيخ خرسان في عصره، ومن كبار الحنابلة، وكان بارعا في اللغة، حافظا =

والحقيقة أن هذه الرحلة إلى خراسان؛ كانت فارقة في إشباع شغف ابن القيسراني- الذي ليس له حدود- بتحصيل العلم، سواء العلوم الشرعية، من فقه، وحديث، أو علم الحقيقة، ومن ثم كان قراره بالاستقرار، والإقامة بصفة نهائية في خراسان، حيث سكن الري لفترة، ثم فارقها، وأقام بيتا في همذان، وسكن فيه، إلى أن توفي سنة ٥٠٧ هجرية(١).

ولا شك أن هذا الاستقرار بخرسان؛ كان له أثره الكبير على ابن القيسراني؛ فقد أسهم- بصورة كبيرة- في نضجه الفكري، وثراء تجربته الروحية، كما هيَّأ له ممارسة موهبته في التأليف بغزارة؛ فألف العديد من المصنفات في تلك الفترة في تاريخ الرجال، والفقه، والحديث، والتصوف. ومن هذه المصنفات التي جاءت بعد نضجه الفكري والروحي؛ مصنفاته الأساسية في التصوف، والتي وصلت إلينا، وهي كتاب صفوة التصوف، وكتاب السماع(٢).

= **للحديث، عارفا بالتاريخ، والأنساب، مظهرا للسنة، داعيا إليها، وكان آية في لسان التذكير والتصوف، من مؤلفاته منازل السائرين، وذم الكلام وأهله، والفاروق في صفات الله، توفي سنة ٤٨١ هـ). انظر ترجمته: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص ١١٨٣.**

(٤) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٤.

(١) انظر: محمد بن عبد الواحد الدقاق، رسالته في وصف حاله وأمره وشيوخه وأهل عصره، ص ٢٨٢. وأيضا: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٩٤.

(٢) (يجب أن نشير هنا، إلى أن ذكر أن ابن القيسراني، له مصنفان آخران في التصوف، هما "جواز النظر إلى المُوْرد"، "ومسألة الإباحة "، إلا أنهما لم يعثر عليهما، وأنا أرجح أنهما ليس لهما وجود، وأنهما ذكرا فقط؛ لتوجيه التهم والطعن في ابن القيسراني، بعد أن أباح السماع، والنظر إلى المُوْرد في صفوة التصوف، قبل أن يصنف كتاب السماع). الباحث

فأما "صفوة التصوف"، فهو كتابه الرئيس في التصوف، وقد ألَّفه- على الأرجح- سنة ٤٨٠هـ؛ طبقا لما ذكره- هو- في الكتاب نفسه[١]. وقد أخبرنا بأنه فكر في تصنيفه؛ بعد ما أنكر عليه البعض بعض أحوال الصوفية، بعد أن دخل بغداد سنة ٤٧١هـ، والتي توجه منها مباشرة إلى خرسان[٢].

وهذا الكتاب ألفه- كما أخبرنا-؛ للدفاع عن أهل التصوف وآدابهم في السلوك، وبيان أن طريقتهم وأصولها مأخوذة عن الرسولﷺ[٣].

وهذا الكتاب مطبوع، وله عدة نشرات: منها نشرة مطبعة دار التأليف بالقاهرة، بمراجعة وتعليق أحمد الشرباصي، والتي نشرت سنة ١٩٥٠. ومنها نشرة دار الكتب العلمية ببيروت، بتحقيق "أبو علي النظيف"، والتي نشرت سنة ٢٠٠٦. ومنها نشرة مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، بتحقيق محمود الدومي، والتي نشرت سنة ٢٠١٠. ومنها نشرة دار المنتخب العربي ببيروت، بتحقيق غادة المقدم عدرة، والتي نشرت ١٩٩٥، وهذه النشرة الأخيرة، هي التي اعتمدنا عليها؛ نظرا لأنها أفضل النشرات وأدقها.

وأما كتاب "السماع"، فقد خصصه ابن القيسراني؛ لبيان حكم السماع بأنواعه؛ إذ إن سائلًا سأله عن ذلك؛ فألف هذا الكتاب؛ للرد على سؤاله بالتفصيل، وبالأدلة، وإقامة الشواهد؛ لإثبات إباحة السماع، والرد على من أنكر ذلك وحرَّمه[٤]. وهذا الكتاب أُرجحُ، أن ابن القيسراني، ألفه بعد كتاب صفوة التصوف؛ وذلك عندي لسببين:

---

(١) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، تحقيق غادة المقدم، دار المنتخب العربي، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥، ص ١٦٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦٣- ١٦٤. وأيضا: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٢١٦.

(٤) انظر: ابن القيسراني، كتاب السماع، تحقيق "أبو الوفا المراغي"، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٢٩-٣٠.

أولهما: أن ابن القيسراني، قد خصص في كتابه "صفوة التصوف" مبحثا في كتاب المعاشرة؛ تحدث فيه عن السماع بصورة مختصرة، دون أن يسهب في التفصيل، فلما سأله السائل عن هذه المسألة، وكانت مسار خلاف شديد بين العلماء في ذلك الوقت، وكانت الانتقادات والاتهامات قد طالته؛ لإباحته للسماع؛ آثر أن يفرد لهذه المسألة كتابا خاصا بها، مفصلا القول في إباحة السماع بالأدلة من السنة، والمأثور عن الصحابة والسلف، والأئمة، وكذلك مفصلا القول في إبطال وتضعيف قول المخالفين؛ الذين حرموا السماع، مستندين في ذلك، إلى أحاديث الكذبة والمجروحين.

وأما السبب الثاني: فهو أن كتاب السماع، جاء مفصلا في المسألة، مرتبا، مبنيا على منهجيه علمية دقيقة في الاستدلال بالصحيح من الأحاديث، والبعد عن الموضوعات، وأحاديث الكذبة المجروحين؛ وذلك للرد على المجرحين والمشنعين والحاقدين، الذين انتقدوا إباحته للسماع، في ذلك المبحث، الذي عقده في "صفوة التصوف".

وهذا الكتاب مطبوع وله نشرتان: نشرة دار اللؤلؤة المصرية بالمنصورة، بتحقيق وليد بن أنيس الجابوصي، والتي نشرت ٢٠٢١. ونشرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بتحقيق "أبو الوفاء المراغي"، والتي نشرت ٢٠١٥، وهذه النشرة هي التي اعتمدنا عليها؛ نظرا لأنها أفضل بكثير من النشرة الثانية.

ثانيا/ منهجه في التصوف:

يعد منهج ابن القيسراني في التصوف؛ امتدادًا طبيعيًّا للتيار السني الإصلاحي، الذي أسسه كبار أعلام التصوف الأوائل، أمثال الجنيد، والبغدادي المتوفى ٢٩٧ هجرية، وأبي عبد الرحمن السلمي، المتوفى ٤١٢ هجرية، وأبي القاسم القشيري، المتوفى ٤٦٥ هجرية، وأبي إسماعيل الهروي الأنصاري،

المتوفي ٤٨١ هجرية، وغيرهم، ممن حملوا على عاتقهم، مسؤولية تصحيح مسار التصوف، بوصفه علمًا سلوكيًّا وأخلاقيًّا؛ بإرجاعه إلى حظيرة الكتاب والسنة؛ لتنقيته من الشوائب، والانحرافات التي علقت به؛ نتيجة ممارسات بعض الصوفية، التي شابها الانحراف والغلو، والبعد عن التصوف الحق المشروع(١).

فلقد جاء منهج ابن القيسراني في التصوف، منسجما مع هذا التوجه الإصلاحي، الذي ساد في نهاية القرن الرابع الهجري، والقرن الخامس؛ حيث سعى من خلال مؤلفاته- وعلى رأسها كتاب "صفوة التصوف" وكتاب "السماع"؛ إلى ترسيخ تصور سني رصين للتصوف؛ يقوم على أساس العودة به إلى طريقة القوم من الصوفية التي شُيدت أركانها بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة(٢).

هذا المنهج لدى ابن القيسراني، يرتكز على عدة دعائم أساسية، يمكن أن نفصلها كالتالي:

١- التمسك بالكتاب والسنة، وضبط التصوف بضوابط الشرع:

فابن القيسراني، ينطلق في رؤيته للتصوف، من قاعدة راسخة؛ تتمثل في ضرورة التزام المتصوفة بهدي الشريعة، والاحتكام إلى نصوص الكتاب والسنة؛ باعتبارهما المرجعية الرئيسة، التي ينبغي أن تقاس عليها جميع الممارسات، والأقوال، والأحوال الصوفية. فذلك ماأكدته افتتاحيته لصفوة التصوف؛ إذ نبه على أن «القوم

(١) انظر: د/ أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ١٧٣-١٧٤.
(٢) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ١٥٣.

العارفين بالله تعالى، الدالين عليه تعالى، أخذوا طريقتهم العلية، وأفعالهم المرضية، عن حضرة الله ورسوله»[١]، مؤكدا أن طريقتهم هذه، شُيدت أركانها بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة[٢].

فالشرع كتابا وسنة عند ابن القيسراني، هما الضابط الأساسي، الذي توزن به ممارسات الصوفية وأقوالهم وأحوالهم، فما استند منها إلى آية محكمة، أو سنة ماضيه صحيحه؛ قبل وحكم عليه بالاتباع، وما ليس له شاهد أو دليل من الكتاب والسنة؛ رفض وحكم عليه بالبطلان والغلو[٣].

ولا شك أن ابن القيسراني في هذا؛ يتفق مع غيره من الصوفية المتشرعين السابقين عليه، الذين قيَّدوا تصوفهم بالكتاب والسنة، من أمثال أبي محمد سهل التستري، المتوفى ٢٨٣ هـ، والذي ورد عنه، أنه قال: «أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسولهﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق»[٤]، وقوله أيضا: «من اشتغل بطلب العلم بالتقوى، وقراءة القرآن، وذكر الله عز وجل، واتباع السنة، واجتناب الهوى؛ لم تصبه الأمراض والأسقام»[٥]. وأبي القاسم الجنيد، المتوفى ٢٩٧ هـ، والذي ورد عنه أنه قال: «عِلمُنا

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٣) انظر: ابن القيسراني، كتاب السماع، ص ٣٠. وانظر أيضا: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٢٩٩.

(٤) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٨ ص ٦٨.

(٥) أبو عبد الله سهل التستري، تفسير القرآن العظيم، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٢٩.

مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث، ويتفقه؛ لا يقتدى به»[١]. وقال أيضا: «الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسولﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته»[٢]. وأبي عثمان النيسابوري، المتوفى ٢٩٨ هـ، الذي ورد عنه، أنه قال: «من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا؛ نطق بالحكمة[٣]، وأبي عبد الرحمن السلمي المتوفى ٤١٢ هـ، الذي قال: «من لم يكن أخلاقه وآدابه على مذهب الكتاب والسنة؛ فليس بصوفي»[٤]. وقوله: «شرائط التصوف؛ ما كان عليه المشايخ المتقدمون من الزهد في الدنيا، والاشتغال بالذكر والعبادة، والغناء عن الناس، والقناعة... والجلوس في المساجد، ولبس المرقعة والرث، فما كان ذلك؛ فالكتاب العزيز ناطق به، ورسولهﷺ ٤٨١ شاهد بقبوله»[٥]. وأبي إسماعيل الهروي، المتوفى ٤٨١هـ، والقائل في حديثه عن متابعه السنة: « اعلم أن العامة علماء هذه الطائفة، اتفقوا على أن النهايات، لا تصح إلا بتصحيح البدايات، كما أن الأبنية لا تقوم إلا على

(١) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١٠، ص ٢٥٥. وأيضا: القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٨٠.

(٢) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٧٩.

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٣ . وانظر أيضا: أحمد زروق قواعد التصوف، ص ٢١٨. (وأبو عثمان النيسابوري، هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري من أوحد المشايخ في سيرته، ومنه انتشرت طريقة التصوف في نيسابور ، توفي ٢٩٨ هجرية). انظر السلمي طبقات الصوفية صاد ٥٣ إلى ٥٤.

(٤) أبو عبد الرحمن السلمي، مناهج العارفين، تحقيق د/ سليمان إبراهيم آتش، منشور ضمن تسعة كتب في أصول التصوف والزهد، دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بنها، ط ١، ١٩٩٣، ص ١٥٦.

(٥) انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، المقدمة في التصوف، تحقيق د/ سليمان إبراهيم آتش، منشور ضمن تسعة كتب في أصول التصوف والزهد، دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بنها، ط ١، ١٩٩٣، ص ٣٥٩.

الأساسات؛ وذلك لإقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص، ومتابعة السنة، وتعظيم النبي، ورعايه الحرمة»[١]. وقد حكى لنا ابن القيسراني، أن شيخه الهروي كان ملتزما بالكتاب والسنة، فهو حينما طُلب منه أن يناظر أصحاب الشافعي وأبي حنيفة، تمسك بأن يناظرهما على ما في كتاب الله وسنة رسوله[٢].

٢ــ ربط التصوف بالأخلاق:

لم ينظر ابن القيسراني إلى التصوف، باعتباره مجرد طقوس أو رياضات روحية، منعزلة عن الواقع السلوكي للمتصوف، بل اعتبره منهجا أخلاقيًّا تربويًّا شاملا، هدفه تهذيب النفس وتكميل الأخلاق.

يتبين لنا ذلك بوضوح؛ بالنظر في كتابه "صفوة التصوف"، فهو حينما تعرض للحديث عن تسمية القوم بالصوفية؛ بيَّن أن هذه التسمية، ترجع إلى « قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة، انقطعوا إلى الله عز وجل، وقطنوا الكعبة، فمن تشبه بهم؛ فهم الصوفية »[٣]. فهذا تأكيد منه؛ أن التصوف– في جوهره– علم للأخلاق الدينية، يهدف إلى تهذيب السلوك، وترقيق القلوب؛ للقرب من الله.

---

(١) أبو إسماعيل الهروي، منازل السائرين إلى الحق جل شأنه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٦، ص ٤.

(٢) انظر: محمد بن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات، ص ٧٠–٧١.

(٣) ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ١٥٤–١٥٥. (وتجدر الإشارة هنا؛ إلى أن هؤلاء القوم، هم ولد الغوث بن مرة بن أد بن طابخة، وقد سمي بصوفة؛ لأن أمه، كانت لا يعيش لها ولد؛ فنذرت لإن عاش؛ لتعلقن برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيط الكعبة؛ ففعلت؛ فقيل له صوفة وولده). انظر ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص ١٤٥ الى ١٤٦.

وانطلاقا من ذلك؛ نجده يتفق مع شيوخ الصوفية في القول إن «التصوف خلق، فمن زاد في الخلق؛ زاد في التصوف»، ويستدل على ذلك بشواهد من أحاديث الرسولﷺ(١).

بل إنه يُنصِّب نفسه مدافعًا عن طريقتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم؛ مبينا أنهم يرتدُّون بأصولها إلى القرآن والسنة(٢)، وأخذ يعدد أخلاقهم، ويرتد بها إلى أسانيد من أحاديث النبيﷺ، مثل أنهم قوم تميزوا بالخلق الحسن؛ فتركوا ما لا يعنيهم(٣)، وإخلاصهم النية في العمل(٤)، واستخدامهم الصدق والإخلاص في أعمالهم(٥)، وغيرها من الأخلاق التي أخذوها، وتأدبوا بها، من حرصهم على تعلم القرآن، وحفظه، ومعرفته، وحفظهم السنن في الحلال والحرام(٦).

٣ـــ ربط التصوف بالفقه:

لما كان ابن القيسراني من الصوفية المتشرعين المعتدلين؛ الذين التزموا في تصوفهم بالكتاب والسنة -كما سبق أن بينا-؛ فإنه التزم بظاهر الشرع وباطنه، فلم يغلب الباطن "الحقيقة" على الظاهر "الفقه"، بل عمل على الجمع بينهما؛ فنظر إلى التصوف والفقه؛ على أنهما جناحان لا يستقيم سلوك المريد إلا بهما معًا؛ فالتصوف عنده ليس عزوفًا عن ظاهر الشريعة أو انفصالًا عنها، بل هو بناء باطني روحي يقوم على الالتزام الظاهري الدقيق. إنه علم حق يُعرف القلب بأحواله ومقاماته، ولكن دون انفصال عن الأحكام الظاهرة للعبادات، التي يجب أن يطبقها الصوفي ويلتزم بها.

---

(١) ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٤٢٠-٤٢١.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٥٤.
(٣) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٤) انظر: المصدر السابق، ص ١٥٨.
(٥) انظر: المصدر السابق، ص ١٥٩.
(٦) انظر: المصدر السابق، ص ١٨٨.

فالصوفي– عنده– لابد أن يكون رجل علم وعمل في آن واحد، ولأجل هذا؛ وجدناه يسعى وراء طلب العلم الشرعي من حديث وفقه؛ فجاب البلدان؛ طلبًا له، لدرجة أنه أخبرنا، أنه بال الدم في طلب الحديث مرتين: مرة ببغداد، وأخرى بمكة؛ لأنه كان يمشي حافيا في الحر؛ فلحقه ذلك، فهو لم يركب دابة أبدا في طلبه للعلم، وكان يتحمل المشاق؛ فيحمل كتبه على ظهره(١).

إنه ينظر إلى التصوف؛ باعتباره امتدادا روحانيا، لما تقرره الشريعة من الأحكام الظاهرة في العبادات والمعاملات؛ ولذلك حرص على أن يصنف في "صفوة التصوف" أبوابا خصصها لشرح الأحكام الظاهرة للتكاليف الدينية، من صلاة، وصوم، وحج، والمعاملات؛ لتكون عونا للصوفية في القيام بأمور الباطن من تزكية ومجاهدة، وغيرها، مما يقربهم من الله في سلوكهم إليه(٢).

ولا شك أن ابن القيسراني في هذا؛ يؤكد مسلك شيوخه من الصوفية السنيين، الذين أكدوا ضرورة الجمع بين الشريعة والحقيقة؛ بالتمسك بالشرع في ظاهره، مع السعي للترقي في معارج الباطن؛ إيمانا منهم، بأن التصوف لايكون إلا بفقه؛ إذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق توجه وإخلاص، يجنب معصيه الله تعالى (٣). ولذلك قال أبو يعقوب السوسي: «كل

---

(١) انظر: محمد بن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات، ص ٨١.

(٢) انظر هذه الأبواب الفقهية في صفوة التصوف، ص ١٩١ ومابعدها.

(٣) (تجدر الإشارة هنا إلى أن أبي عبد الرحمن السلمي، ألَّف كتابا، أكد فيه ذلك؛ فقال: «علم الشريعة علم الآداب، وعلم الحقيقة علم الأحوال، ولن تفتح على العبد طريقة صحة الأحوال إلا بملازمة الآداب). انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، كتاب بيان الشريعة والحقيقة، تحقيق محمد سوري، نشرت ضمن مجموعة آثار عبد الرحمن السلمي، طهران، ١٣٨٨ هـ، ص ٣٩٨.

باطن لايقيمه ظاهر؛ فهو باطل، وكل ظاهر لايقيمه باطن؛ فهو باطل» [١]، وقال الإمام مالك: «من تصوف ولم يتفقه؛ فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف؛ فقد تفسق، ومن جمع بينهما؛ فقد تحقق» [٢].

فالفقه في أحكام الأحوال ومعاني المقامات عند ابن القيسراني، وشيوخ المتصوفة السنيين، ليس بأقل قيمة من الفقه في أحكام الظاهر من عبادات ومعاملات؛ لأن تلك الأحكام الظاهرة – كما يقول الطوسي– ربما لا تقع في العمر حادثة تحتاج إلى العلم بحكمها، فإذا وقعت وسُئل عنها؛ فيكفي فيها التقليد، والأخذ بقول بعض الفقهاء، وبذلك يسقط فرض العلم بها على الجميع؛ فتصبح فرض كفاية، بينما أحكام أعمال الباطن، من أحوال ومقامات ومجاهدات، التي يتفكر فيها الصوفية، ويتكلمون في حقائقها، فالمؤمنون مفتقرون إليها، ومعرفتها واجبة عليهم، وليس لها وقت مخصوص دون وقت[٣].

٤ــ نقده للمتشبهين بالصوفية والغالين والمنحرفين منهم:

لما كان ابن القيسراني صوفيًا سنيًا، حسب قواعد الشرع كتابا وسنة؛ فإنه لم يقبل بالممارسات الخاطئة، والاعتقادات الفاسد؛ التي صدرت من بعض الصوفية في عصره، والذين انحرفوا عن طريق التصوف الحق المشروع.

---

(١) أبو عبد الرحمن السلمي، كتاب بيان الشريعة والحقيقة، ص ٤٠٤.

(٢) انظر أحمد زروق، قواعد التصوف وشواهد التعرف، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥، ص٢٢.

(٣) السراج الطوسي، اللمع، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثه بمصر، ١٩٦٠، ص ٣٦.

فهو ينتقد المدعين للتصوف؛ ممن زعموا أنهم من المتصوفة، ويفضحهم، ويتهمهم بأنهم السبب الرئيس في مهاجمة الصوفية من المنكرين عليهم؛ بسبب ماأقدموا عليه من اعتقادات فاسدة، وممارسات خاطئة، اتخذها أعداء الصوفية، قرينة ودليلًا للإنكار عليهم، والطعن في طريقتهم (١).

هؤلاء– فيما يرى ابن القيسراني– قد يظهر من أمرهم، أنهم من الصوفية؛ لتشبههم بهم في الثياب والأقوال، إلا أنهم– في الحقيقة– متباينون لهم في الأفعال والممارسات. فهم لم يتخذوا– مثلهم– شيخا يؤدبهم ويرشدهم، ولم يحرصوا على التفقه في العلوم، والسعي إلى اكتسابها، بل إنهم اتخذوا من انتسابهم إلى الصوفية، وسيلة لبلوغ أغراضهم، وتحقيق آمالهم؛ طلبا للدنيا، ورغبة في الشهرة والمباهاة (٢).

من هؤلاء المبتدعة المدعين للتصوف، الذين أنكر عليهم ابن القيسراني وهاجمهم أحمد الغزالي، الذي وصفه بأنه آية من آيات الله تعالى في الكذب، وبأنه توصل إلى الدنيا بالوعظ، وادعاء الزهد والتصوف (٣).

يذكر ابن القيسراني، أنه أنكر عليه العديد من الادعاءات الباطلة، والجهالات والحماقات، التي لا تَبُتُّ إلى الصوفية في شيء، بل هي تسيئ إليهم؛ لمخالفتها للشريعة كتابا وسنة.

---

(١) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ١٥٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٥٧–١٥٨.

(٣) محمد بن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات، ص ٧٤. (وأحمد الغزالي، هو أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي الواعظ، أخو أبو حامد الغزالي، كان واعظا مفوَّهًا، ذا حظ من الكلام والزهد، تعرض لانتقادات عديدة وتجريح من ابن الجوزي؛ لتعمده التخليط في كلامه، وروايته للأحاديث المصنوعة، والحكايات الفارغة، والمعاني الفاسدة، والقول بالمشاهد، وقد توفي ٥٢٠ هجرية). انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ٦٣.

من هذه الادعاءات التي يعددها لنا ابن القيسراني؛ أنه وهو في همذان، سمع أحمد الغزالي يقول: رأيت إبليس في وسط هذا الرباط يسجد لي، فأنكر ابن القيسراني عليه ذلك؛ وقال له: ويحك إن الله أمره بالسجود لآدم فأبى، فكيف يسجد لولده؟، ومنها أيضا، أنه أنكر عليه، زعمه بأنه رأى رسول الله ﷺ عيانا في يقظته، لا في نومه، وأنه كلما أشكل عليه أمر من الأمور؛ رأى رسول الله؛ فسأله عن ذلك المشكل؛ فدله على الصواب. وكذلك منها، أنه أنكر عليه ادعاءه، بأنه ليس في حاجة إلى حديث النبي ﷺ؛لأنه مهما قال: يسمع منه الناس [1].

وممن انتقدهم ابن القيسراني بشدة، وهاجمهم، وأنكر عليهم، جماعة الملامتية، التي اعتمدت في طريقتها، على عمارة الباطن وتحسينه، على حساب تخريب وسوء الظاهر؛ إذ تعمدوا أن يظهروا من أنفسهم، أقبح ماهم فيه، ويكتموا أحسن ما هم عليه، تجنبا للرياء [2].

---

(١) انظر: محمد بن طاهر المقدسي، المنثور من الحكايات، ص ٧٤.

(٢) (تجدر الإشارة هنا، إلى أن الملامتية هم جماعة من الصوفية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بمدينة نيسابور بخراسان، أطلق عليها اسم الملامتية أو الملامية؛ لأن طريقتهم كانت تقوم على ملامة النفس في كل الأحوال. فالملامتي لا يرى لنفسه حظًّا على الإطلاق، ولا يطمئن إليها في عقيدة أو عمل؛ ظنا منه، أن النفس شرٌّ محض، ولا يصدر عنها إلا ما وافق طبعها، من رياء ورعونة؛ ولذلك وقف منها دائمًا، موقف الاتهام والمخالفة، وهذا هو المراد بلوم النفس.

وكذلك يرى الملامتي، أن معاملته مع الله سرٌّ بينه وبين ربه، لا يصح أن يطلع عليه غيره، فهو حريص على كتمان السر، غيور على محبوبه، أن يطلع الخلق على صلته به؛ لذا تعمدوا فعل ما يجب عليهم من الخلق السخط والازدراء، وهذا هو لوم الناس إياهم، وعدم الاستغراق في الله، وعدم الغيبة عن النفس والعالم المحيط بها؛ كان الحائل المنيع، الذي سد على الملامتية باب القول بوحدة الوجود، أو بالحلول والاتحاد، وما شاكل هذه الأقوال، التي شاعت على ألسنة الصوفية، الذين تكلموا في الفناء.

=

فلقد أنكر عليهم ابن القيسراني مسلكهم هذا؛ لغلوهم ومخالفتهم للشرع؛ فقال: «هذه الطائفة، زعمت أنها أصلحت بواطنها، وأفسدت ظواهرها، وهذه طريقة مخوفة، نهى الشرع عن سلوكها، فأقل ما تركت هذه الطريقة من طريقة أهل الصفة حفظ الآدب، وأجل ما ارتكبت في سلوكها هذه المحجة، ترك أوامر الشريعة ونواهيها» (١).

ويبين ابن القيسراني، أن الأوائل من الزهاد من أهل الصفة؛ كانوا يفعلون مثل مافعلوا الملامتية، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك؛ اجتنابًا للرياء على الحقيقة، فكانوا يتركون أنفسهم على سجيتها، بينما الملامتية يقومون بذلك، لا اجتنابا للرياء– كما يدَّعون– وإنما لمخالفة الشرع، وسلوك طريق الإباحة لا غير (٢).

ولكي يبرهن ابن القيسراني، على قبح مسلك هذه الطائفة، وبطلان طريقتهم؛ يستدل من السنة على ذلك بأصول ستة:

أولها: أن النبيﷺ أخبر أن الحلال بيّنٌ والحرام بيّنٌ؛ فقال: « الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُتَشَابِهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ

=

ولعل أشمل تعريف للملامتية، ما قاله أبو حفص النيسابوري؛ إذ قال: أهل الملامة قوم قاموا مع الحقِّ تعالى، على حفظ أوقاتهم، ومراعاة أسرارهم، فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القرب والعبادات، وأظهروا للخلق، قبائح ما هم فيه، وكتموا عنهم محاسنهم؛ فلامهم الخلق على ظواهرهم، ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم). انظر: د/ أبو العلا عفيفي، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٣–٢٠. وانظر أيضا: د/ رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، مادة ملامتي وملامتية، ص ٩٣٥–٩٣٦.

(١) ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٤٧٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

يُوَاقِعَهُ الأَوَانُ ، لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ ». والملامتية حرَّموا الحلال، وأحلوا الحرام في طريقتهم؛ بحجة الخوف من الرياء؛ فخالفوا- بذلك- الشرع [1].

وثانيها: أن النبيﷺ أوصى بعدم التظاهر بالمعصية، فعن أم المؤمنين صفية بنت حيي، أنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْطَلَقْتُ فَقَامَ مَعِيَ يُقَلِّبُنِي-أي يردها ويمشي معها-، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ، فَمَرَّ رَجُلانِ مِنَ الأَنْصَارِ ؛ فَلَمَّا رَأَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْرَعَا؛ فَقَالَ النَّبِيُّﷺ عَلَى رَسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، قَالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَال: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا» . والملامتية تظاهرت بمظاهر السوء، وتجاهرت به؛ فخالفت ما أوصى به النبيﷺ[2].

وثالثها: أنهﷺ أمر أصحابه ومن جاء بعدهم، إذا جاء زمن الفتنة؛ أن يأخذوا بما يعرفون، ويدعون ما ينكرون، إذ روى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَﷺ قَال : "كَيْفَ بِكُمْ وِبزَمَانٍ، أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ فِيهِ النَّاسُ غَرْبَلَةً، تُبْقِي حُثَالَةً مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ، فَكَانُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. فَقَالَ: كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا

---

(١) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٤٧٣-٤٧٤. وانظر الحديث: الإمام مسلم، صحيح مسلم، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٩٩٨، كتاب الإيمان، ص ٨٦٢.

(٢) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٤٧٥-٤٧٦. وانظر الحديث: الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، ص ١١٩٧.

كَانَ ذَلِكَ؟؛ قَالَ:" تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خُوَيْصَتِكُمْ، وَتَدَعُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُم ». والملامتية بطريقتهم قد خالفوا أمر النبيﷺ ؛ لأن طريقتهم ومسلكهم غريب ومما ينكر [١].

ورابعها: أنﷺ نهى عن التكلف، إذ ورد عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلا تَتَكَلَّفُوهَا رُخْصَةُ اللَّهِ فَاقْبَلُوهَا ». والملامتية خالفت بتكلفها في طريقتها وممارساتها [٢].

وخامسها: أن النبيﷺ دعانا إلى الورع، واجتناب الشبهات؛ فقَال: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لا يُرِيبُكَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ فَقْدَ شَيْءٍ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». وهم في مسلكهم وطريقتهم، خالفوا أمر النبي، ووقعوا في الشبهات [٣].

وسادسها: أن النبيﷺ أخبرنا بأن من علامات الإيمان؛ فرح العبد المؤمن بفعل الحسنات والطاعات، وحزنه لفعل السيئات

---

(١) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٤٧٦. وانظر الحديث: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ١١، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ٥٤.

(٢) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٤٧٧. وانظر الحديث: على بن عمر الدارقطني، سنن الدارقطني، ج ٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، كتاب الأحباس، ص ٣٢٦.

(٣) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٤٧٧. وانظر الحديث: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٣، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٥، ص ٢٤٩.

والمعاصي، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: « إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ؛ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِثْمُ؟؛ قَالَ: إِذَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ ». والملامتية خالفت ذلك بطريقتهم؛ التي أتوا فيها بالأفعال القبيحة السيئة، وفرحوا بها معتبرين أنها أفعالٌ حسنة (١).

وبعد أن انتهى ابن القيسراني من نقده لهذه الطائفة وابطاله لمسلكهم، نجده يلخص حال هذه الطائفة فيقول: « فهذه الفرقة خالفت جميع هذه النصوص، وارتكبت ماحذر صاحب الشريعة منه، وجعلت ذلك طريقة، نعوذ بالله من الخزلان » (٢).

ولا شك أن هذا النقد من جانب ابن القيسراني للملامتية، وغيرهم من المدعين للتصوف؛ ممن اعتقدوا اعتقادات فاسدة، وأتوا بممارسات خاطئة؛ يؤكد لنا نزعته الإصلاحية، فهو بنقده لهذه الفئات الضالة، المخالفة للشريعة؛ كان يسعى جاهدا إلى إصلاح مماراساتهم الخاطئة، وتصحيح اعتقاداتهم؛ لتخليص التصوف مما علق به من شوائب، والعودة به إلى التصوف المشروع، الذي يتفق مع الكتاب والسنة.

(١) انظر: ابن القيسراني، صفوة التصوف، ص ٤٧٨-٤٧٩. وانظر الحديث: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٣٦، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١، كتاب الأحباس، ص ٣٢٦.

(٢) ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٤٨٠.

المبحث الثالث: معالم الطريق الصوفي عند ابن القيسراني

تمهيد:

بعد استعراض ملامح حياة ابن القيسراني وسياق التصوف في عصره، وما صاحب تلك المرحلة من تحولات فكرية وتحديات سلوكية داخل الأوساط الصوفية، ثم الوقوف على انخراطه الشخصي في التصوف، ومنهجه الإصلاحي الذي تميز بجمعه بين المعرفة الشرعية والانضباط السلوكي؛ يصبح من الضروري الكشف عن معالم الطريق الصوفي عنده؛ باعتباره يمثل تصوره لتنظيم مسار السالكين إلى الله عز وجل.

لقد أدرك ابن القيسراني– من واقع معايشته لواقع عصره، وما شاع فيه من مظاهر الخلل والغلو والانحراف عن التصوف المشروع– أن الطريق الصوفي، لا يختزل في مظاهر شكلية، ولا يختبر بمجرد الانتساب أو التزيي بأزياء المتصوفة–كما بينا في نقده للمتشبهين بالصوفية وجماعة الملامتية–، بل هو مسار دقيق، محكوم بضوابط الشريعة، ومتطلب للصدق في التزكية، والالتزام بأحكام الدين الظاهرة والباطنة.

ومن هنا؛ حرص ابن القيسراني في مؤلفات الصوفية، على بيان معالم هذا الطريق في ضوء الشريعة، وتنقيته من الانحرافات، مع المحافظة على روح التزكية وتهذيب النفس، التي تعد جوهر التجربة الصوفية الأصيلة؛ فبين لنا رؤيته لطبيعة السير والسلوك، وشروط الانتساب لهذا الطريق، وحدود العلاقة بين الشريعة والحقيقة، إلى ذلك من قضايا، شكلت محاور مركزية في التجربة الصوفية الإسلامية.

أولًا/ ماهية الطريق وجوهره:

الصوفية على اختلافهم، يتصورون طريقا للسلوك إلى الله، يسير فيه السالك وفق منهج محدد، وهذا المنهج يسمى بالطريق أو الطريقة[١]؛ وهو عبارة عن معارج ومنازل روحية، يفهم منها مسيرة السلوك ومدارج السائلين؛ إذ لكل سالك إلى الله تعالى، حياته الفردية الخاصة، وعالمه الروحي الذي يعيش فيه وحده، وهذا الطريق ليس سوى المعراج الروحي، وقد أطلق عليه الصوفية اسم السفر، والسلوك، والمعراج، وقسموه إلى مراحل أو منازل، سموها بالمقامات، كما سموا الأحداث النفسية والمغامرات الروحية التي تعرض لهم فيها، باسم الأحوال [٢].

ومن ثم، كان حد الطريق اصطلاحيا، كما أورده الجرجاني، أنه «السيرة المختصة بالسالكين إلى الله، من قطع المنازل، والترقي في المقامات» [٣].

هذا الطريق لدى الصوفية في الأديان المختلفة– كما تقول آنا ماري شميل– ماهو إلا صورة لتلك المراحل والخطوات نحو التوجه إلى الله . فالتقسيم المسيحي لمراحل التصوف، إلى مرحلة التجريد، والمشاهدة، والكشف؛ يتطابق –نوعا ما– مع التقسيم الإسلامي للطريق الصوفي إلى شريعة، وطريقة، وحقيقة. والطريقة، أي الضرب الذي يسلكه الصوفي، تعرف بأنها الطريق الذي يتفرع من الشريعة؛ لأن الشارع الواسع؛

---

(١) انظر: د/ رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف في الإسلام ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١، ١٩٩٩ ، مادة طريق ، ص ٥٧٤.

(٢) انظر: أبو العلا عفيفي التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ١٣٦. وانظر: مجدي محمد إبراهيم ، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط ١ ، ٢٠٠٢، ص ٧٥.

(٣) الجرجاني ، التعريفات ، ص ١١٩.

يسمى شرعا، والفرع منه؛ يسمى طريقا، وهذا الاشتقاق، يبين أن الصوفية، يعتبرون أن طريق التربية الصوفية؛ هو ضرب من طريق الشريعة، الذي يجب على كل مسلم أن يسلكه، ومثلما أنه لا يوجد طريق فرعي بدون طريق رئيس يتفرع منه؛ فإنه لا يمكن أن تكون التجربة الصوفية صادقة؛ إن لم تتبع قواعد الشريعة اتباعا خالصا [١].

والحقيقة أن ما ذهبت إليه آنا ماري شميل، يشير- بوضوح- إلى أن مفهوم الطريق في التصوف، يمثل جوهر السلوك الروحي؛ حيث ينظر إليه المتصوف؛ باعتباره المسار العملي الذي يسلكه المريد؛ للوصول إلى معرفة الله تعالى، والترقي في مدارج القرب منه، إنه رحلة معنوية، قائمة على التدرج في تزكية النفس، والتخلق بالأخلاق المحمودة، والابتعاد عن الأوصاف المذمومة؛ وفقا لقواعد الشريعة.

وابن القيسراني- باعتباره صوفيا سُنيًّا متشرعا- لم يخرج مفهومه للطريق، عن ذلك؛ فهو ينظر إليه؛ باعتباره السبيل العملي؛ لتحقيق مقاصد التصوف، وفقا لضوابط الشريعة. فقد أكد في أكثر من موضع في كتابه "صفوه التصوف" أن الطريق الصوفي في جوهره، ليس انعزالا شكليا، أو مظهرا خارجيا، بل هو التزام عملي بالشريعة، إنه سلوك تربوي، يتأسس على تزكية النفس وتقويم الباطن، وفقا لضوابط الشرع كتابا وسنة.

هذه الماهية للطريق عند ابن القيسراني، لخصها في عبارة جامعة، وصف بها طريقة الصوفية؛ فقال: «إن طريقة القوم غالية السوم، مشيدة أركانها بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة» [٢].

---

(١) انظر: آنا ماري شميل ، الأبعاد الصوفية في الإسلام ، ص ١١٣.

(٢) ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ١٥٣.

فهذه العبارة، تلخص تصور ابن القيسراني، لماهية الطريق الصوفي وجوهره، الذي يربط فيه، بين الشريعة الظاهرة، وحقيقة السلوك الباطن؛ بحيث لا يعتد بأي تجربة صوفية، ما لم تكن قائمة على الاتباع الصريح للشريعة، وهذا نفسه الذي أكده غيره من المتصوفة السنيين الذين سبقوه؛ من أمثال الجنيد والقشيري، وغيرهم من الذين جعلوا الشريعة شرطا لازما للسير، بدونه لا يصلح السلك، فالطريق مضبوط عندهم بالكتاب والسنة، ومن لم يلتزم بهما؛ لا يصلح له سلك، ولا يقتدى به [١].

ثانيا/ مجاهدة النفس أساس الطريق:

إذا كان الطريق الصوفي عند ابن القيسراني، وعند غيره من المتصوفة السنيين، ينطلق من أساس راسخ، لا يقبل التهاون، وهو التزام ظاهر الشريعة وحدودها، باعتبارها جوهر الطريق، وميزان القبول عندهم؛ فإن مجاهدة النفس، تأتي بعد ذلك في المرتبة، بوصفها مدخلًا أساسيًّا وضروريًّا، لاغنى عنه لسلوك الطريق؛ إذ لا يمكن للمريد، أن يشرع في السير إلى الله تعالى، ما لم يبدأ بكبح جماح النفس، وتخليصها من الأهواء والعلائق الدنيوية، التي تعترض طريق السالكين؛ ذلك لأن النفس؛ هي أشر أعداء الإنسان، القائد له إلى الهلاك، والشيطان لا يصل إلى السالك إلا بشهواتها[٢].

ومن هنا أوجب الصوفية- ومنهم ابن القيسراني- على المريد، مجاهدتها في بداية سلكه للطريق؛ وذلك بالعمل على مخالفتها، وقمع شهواتها وهواها[٣]، والقضاء

---

(١) انظر القشيري الرسالة القشيرية ، ص ٨٠.

(٢) انظر: عبد الرحمن اللجائي ، شمس القلوب ، تحقيق د/ محمد الديباجي ، دار صادر ، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٣ ، ص ٨٠.

(٣) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ١٧٥.

على أوصافها المذمومة، التي يجب التخلي عنها في أثناء السير في الطريق، وعلى رأسها الكذب، والتكبر، والرياء والسمعة، والعجب، والحسد، والنميمة، والغضب، وغيرها [١]. وذلك بمحاسبتها، وعدم تركها؛ لأن المريد لو لم يفعل ذلك؛ قطعته عن خالقه، ومكنت فيه عدوه "ابليس"؛ فيُشغل بالدنيا عن الآخرة [٢].

فإذا تمكن المريد من محاسبة نفسه، وتخليصها من أوصافها المذمومة؛ وجب عليه أن يزكيها، ويزينها بالأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة، من صدق، وإخلاص، وحياء، وحلم، وقناعة، وغيرها من الأخلاق المحمودة [٣]. مع تأكيد أن عملية التخلية للنفس من أوصافها المذمومة، والتحلية لها بالأخلاق المحمودة عند ابن القيسراني؛ هي عملية سلوكية، خاضعة لأوامر الشرع ونواهيه؛ ولذلك وجدناه، يقدم الشواهد على ما يجب تخليته، وما يجب تحليته للنفس من السنة الشريفة.

وبذلك يتبين لنا؛ أن غاية الطريق الصوفي عند ابن القيسراني، يهدف إلى الترقي بالنفس أخلاقيا؛ عن طريق المجاهدة، بإحلال الأخلاق المحمودة محل الأخلاق المذمومة؛ حتى يصل السالك إلى المعرفة بالله، وهو بذلك؛ يتفق مع التوجه العام لصوفية أهل السنة، وخصوصا الغزالي، الذي وصف رياضة النفس أخلاقيا؛ بأنها طب القلوب، وأنها مقدمة على طب الأبدان؛ لأن أمراض الأبدان؛ تؤدي- فقط- إلى فوات هذه الحياة الدنيا، بينما أمراض القلوب تفوت على الإنسان حياة الأبد، ومن ثم؛ أوجب الغزالي على كل ذي عقل؛ أن يتعلم طب أمراض القلوب، إذ لا يخلو قلب من القلوب

(١) انظر: المصدر السابق ، ص ١٦٢، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦٨ ، ٤٨٤ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢.
(٢) انظر: عبد الرحمن اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٨٠-٨١. وانظر أيضا:
(٣) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ، ٤٤٧ .

من أسقام، لو أهملت تراكمت، فيحتاج العبد؛ إلى تأنق في معرفة عللها وأسبابها، ثم التشمير في علاجها واصلاحها [١].

فإذا كان ذلك كذلك، وكانت مجاهدة النفس؛ هي أساس الطريق الذي يأخذ به المريد نفسه منذ بداية الطريق؛ لتزكية نفسه؛ عن طريق التخلية، والتحلية، فإن ابن القيسراني، يلزم المريد، بأن يتخذ منذ البداية في سلكه للطريق؛ شيخا مدققا خبيرا بمنازل السالكين إلى الله، ضابطًا لحدود الشريعة، يرشده، ويصحح له انحرافاته، ويبصِّره بعيوبه، ويطلعه على خفايا الآفات، ويحصنه من الأخطار، التي قد تضلله عن مسالك الطريق. فاتخاذ الشيخ والسير على يديه في الطريق، ضرورة من ضرورات سلك الطريق عند ابن القيسراني؛ ولذلك وجدناه ينتقد المتشبهين بالصوفية، ويأخذ عليهم؛ أنهم «لم يتأدبوا بشيخ صحبوه» [٢].

وابن القيسراني– في ذلك– يتفق مع جمهور الصوفية؛ إذ يكادون يجمعون، على أهمية الشيخ وضرورته للمريد؛ فالشيوخ عندهم « هم الطريق إلى الله عز وجل، والأدلاء عليه، والباب الذي يُدخل منه إليه، فلابد لكل مريد لله عز وجل، من شيخ»[٣].

وقد اهتم ابن القيسراني– دون توسع– في الحديث عن آداب الصحبة بين الشيخ والمريد؛ فبيَّن أن الشيخ، إذا قبل المريد؛ يلبسه الخرقة بيديه؛ إيذانا بدخول المريد في إرادته، وأن يشترط عليه بعد لبسه للخرقة؛ أن يبايعه على السمع والطاعة العمياء، في كل ما يأمر به وينهى عنه، دون أن يعترض عليه في شيء من ذلك [٤].

---

(١) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج ٣ ، تقديم د/ بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا ، إندونسيا ، بدون تاريخ ، ص ٤٧

(٢) ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ١٥٧ ، ١٧٥.

(٣) عبد القادر الجيلاني ، الغنية لطالبي طريق الحق ، ج ٢ ، تحقيق محمد خالد عمر، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص ٤٤٩.

(٤) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٢٢٢–٢٢٣.

فإذا كان ذلك، ودخل المريد في إرادة شيخه؛ فإنه واجب عليه؛ أن يكرم شيخه ويحترمه، ولايخرج عن إرادته؛ فيمتثل الأدب مع شيخه، فلا يركب دابة، ويمشي بجوار شيخه، وهو راكب دابته، بل يمشي إلى جانبه، كما عليه؛ أن يستأذن شيخه عند السفر، ويلتمس الدعاء منه [١].

ومن آداب المريد مع شيخه أيضا؛ أن يبجِّله ويقدِّمه، وأن يسكت في حضرته ولا يتكلم إلا بإذنه، وألا يكثر من الأسئلة له [٢].

وإذا كان المريد، عليه واجبات تجاه شيخه؛ فإن على الشيخ أيضا، واجبات تجاه مريده؛ إذ عليه- فيما يرى ابن القيسراني- أن يبين للمريد معالم الطريق وحقيقته، ويرسم ويقدم له، الرياضة العملية المناسبة، التي تساعده في مجاهدته لنفسه؛ فينصحه بأن يكون زاده في الطريق، المداومة على ذكر الله تعالى[٣]؛ فهو وسيلة لتطهير النفس، وتنقية الباطن، وقطع الأسباب عن الدنيا وشواغلها، ومحو آثارها في القلب. إنه ركن قوي، في التوجه إلى الله، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله، إلا بدوام الذكر [٤]. علما بأن حقيقة الذكر عند ابن القيسراني والصوفية، هي أن تنسى ما سوى الله في الذكر، مصداقا لقوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق ، ص ٣٥١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) انظر: المصدر السابق ، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥١٠.

(٣) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٥١١.

(٤) انظر: الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ ، ص ١٢٢. والآية: سورة الكهف، آية ٢٤.

(٥) انظر: القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٢٥٦.

وأفضل الأذكار التي يجب أن ينصح بها الشيخ المريد- فيما يرى ابن القيسراني- الأذكار المشروعة، التي وردت في القرآن والسنة، مثل قول: "لا إله إلا الله"، وغيرها مما ورد في الشرع، من أذكار تقرب العبد من ربه [١].

ولا شك أن هذا التوجه من ابن القيسراني، يدلنا على توجهه الإصلاحي، فقد كان رافضا لما يمارسه بعض الصوفية في عصره في جلسات ذكرهم، بترديدهم أذكارًا مبتدعة، ليس لها أصل في الشرع، فانحرف بالذكر عن مقصوده، فأصبح مجرد عبارات يرددها اللسان، دون أن تحقق الغرض المنشود منها، وهي تنقية القلب من كل همٍّ، وتفريغه مما سوى الله.

وكذلك على الشيخ أن ينصح مريده بلبس الصوف، والخشن من الثياب [٢]، وكذلك أن يلتزم الجوع [٣]، والعزلة؛ لأن النفس بطبعها، ميالة إلى مخالطة الناس، فمخالفتها بالعزلة؛ هو تقويم لها؛ ولذلك قال الصوفية: العافية في الزاوية أي في العزلة [٤].

وأخيرا فإن الشيخ يوجه وينصح مريده؛ بأن يحضر مجالس السماع؛ ليسمع الغناء بالآلات وغيرها دون قيد، فذلك مباح شرعا- فيما يرى ابن القيسراني- لأن الشرع لم يأت بنص صحيح مؤكد يحرمه، بل هناك مايجيزه ويبيحه من أقوال وأفعال النبيﷺ ، والصحابة، والأئمة [٥].

---

(١) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٥١١.

(٢) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٢٣٢.

(٣) انظر: المصدر السابق ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤.

(٤) انظر: المصدر السابق ، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٥) انظر: المصدر السابق ، ص ٢٩ – ٣٢. (تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المسألة، "مسألة السماع" كانت محل خلاف شديد بين العلماء في عصر ابن القيسراني، وقد =

ثالثا/ مراحل الطريق (المقامات والأحوال) :

بادئ ذي بدء، أقول إن ابن القيسراني لم يصنف في المقامات والأحوال، ولم يبحث كلًّا منهما على حدة، بل بحثها متشعبة ومتشابكة، في ثنايا كتابه "صفوة التصوف" فمن خلال الشجرات المتناثرة في هذا الكتاب؛ نستطيع أن نقدم تصورا لمراحل السالكين إلى الله تعالى؛ من مقامات وأحوال يسلكها السالك إلى الله تعالى في طريقه إلى معرفة الله تعالى، والتي هي الغاية الأساسية من سلكه للطريق.

فالسالك في الطريق في أثناء مجاهدته لنفسه، بمساعده شيخه، يمر بمراحل أو منازل متعددة في سيره إلى الله، وهو يتدرج ويرتقي فيها منزلة بعد منزلة، بشرط أن يتقن كل منزلة؛ ليرتقي إلى غيرها؛ وذلك بالصبر على الصعوبات والمعوقات التي تواجهه في كل منزلة [١]، إلى أن يصل إلى نهاية سلكه وغايته المنشودة، وهي معرفه الله.

وابن القيسراني، يرى أن أول مرتبة ينزلها السالك في سلكه؛ هي **مرتبة التوبة**، فهو في حديثه في باب الصلاة، أشار إلى ذلك؛ إذ بين أن المريد، يبدأ سلكه بالتوبة، بمجرد لبسه للخرقة من شيخه مع بداية سلكه [٢]. فهي تعينه في

= **تناولها ابن القيسراني في كتابه "صفوة التصوف"، ثم صنف لها مصنفا كاملا سماه "كتاب السماع"، استدل فيه على جواز السماع واباحته، مستدلا على ذلك بأقوال وأفعال النبيﷺ والصحابة والأئمة، كما أنه جمع نصوص التحريم التي استند إليها مخالفوه، من الذين حرموا السماع، فناقش أسانيدها ومتونها؛ مبينا ضعفها، وضعف رواتها؛ مما يبين جهل من استند إليها في تحريم السماع، وعلى إثر ذلك؛ اتهمه معارضوه بالإباحة، على الرغم من أنه على مذهب الظاهرية، الذي يتيح ذلك) الباحث.**

(١) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٣٧.

(٢) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٢٣٢.

بدايه السلك؛ على مجاهدة نفسه، وتصفيتها، وتخليتها من الشرور والآثام التي علقت بها، قبل أن يتم تحليتها بالفضائل.

فمقام التوبة مقام رفيع ومهم للمريد؛ فهو يلازمه إلى أن يصل إلى غايته. إنها أصل كل مقام، وقوام كل مقام، ومفتاح كل حال، إنها بمثابة الأرض للبناء، فمن لاأساس له؛ لا بناء له، ومن لاتوبة له؛ لا حال له، ولا مقام، كما يقول السهروردي(١).

ويستدل ابن القيسراني على هذا المقام من السنة النبوية؛ فيذكر العديد من الأحاديث التي وردت عن النبيﷺ، والتي دعا فيها إلى التوبة، مثل قوله لعائشة: «إن كنت ألممت بذنب؛ فاستغفري الله، وتوبي إليه» (٢)، وغيرها من أحاديث النبي–صلى الله عليه وسلم– التي دعا فيها إلى التوبة والاستغفار من الذنوب (٣).

والتوبة عند ابن القيسراني لها مراسم؛ إذ لابد للمريد أن يغتسل، ويصلي ركعتين قبل التوبة (٤). كما أن لها شروطا لا تتم إلا بها، ولا تؤتي ثمارها إلا إذا توافرت؛ إذ تقتضي التوبة من العبد التائب؛ أن يندم على الذنوب، ويستغفر ربه، وأن يعزم على ألا يعود، وأن يقلع عن المعاصي والآثام (٥).

ويأتي **الإخلاص** بعد التوبة، بوصفه مقامًا ضروريًّا، يحتاجه المريد في سلكه؛ إذ هو محك صحة الأعمال وفسادها، إنه يميز الأعمال من العيوب،

---

(١) السهروردي ، عوارف المعارف ، ج ٢ ، تحقيق د/عبد الحليم محمود ، د/ محمود بن الشريف، دار المعارف ، القاهرة، بدون تاريخ ، ص ٢٦٩- ٢٧٠ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، ص ١١٦١.

(٣) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٤) انظر: المصدر السابق ، ص ٢٠١.

(٥) انظر: عبد الرحمن اللجائي ، محجة السعادة ، حققه ونشره آدم شاتاك ، تركيا ، ط ١، ٢٠٢٢ ص ٥٢ . وانظرأيضا: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٣٦٩، ٣٧٦.

كتمييز اللبن من الفرث والدم، كما يقول يحيى بن معاذ [١]، ويصفيها من الكدرات كما يقول الجنيد [٢]، ويحفظها كما يقول المحاسبي من الانتقاص والآفات، ولهذا؛ فإنه واجب لازم في جميع الأعمال [٣]. ولذلك ذهب ابن القيسراني، إلى أنه يجب أن يلازم المريد في كل أعماله، وأن يكون قصده في عمله التوجه به إلى الله خالصا له [٤]. وإلا كان رياءً، والرياء شرك كما أخبرنا النبيﷺ[٥].

ويأتي بعد الإخلاص **مقام المراقبة؛** فهو من لوازم الإخلاص؛ إذ إن العبد السالك، بعد أن يقوم بفعل الطاعة خالصة لله وحده؛ يجب عليه أن يعبد مولاه كأنه يراه فيراقبه، فإذا علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه، استدامته لهذا العلم، مراقبة لربه، هو أصل كل خير [٦]؛ لأن علمه بذلك؛ يجعله يخاف سطوات عقابه تعالى له في كل حال؛ فيهابه في كل موضع ومقال، علما منه بأنه الرقيب القريب والشاهد الذي لا يغيب [٧].

فإذا ما حقق العبد المراقبة لله تعالى على الوجه الأتم في عموم أحواله، وعلم أنه سبحانه وتعالى عليه رقيب، ومن قلبه قريب، يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع

---

(١) الخركوشي : تهذيب الأسرار، تحقيق بسام محمد بارود ، أبو ظبي ، الإمارات ، ١٩٩٩، ص ١٨٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٣. وأيضا: الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص ٣٧٠.

(٣) المحاسبي ، كتاب القصد والرجوع إلى الله ، ص ٢٥٩.

(٤) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠.

(٥) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٢٠١.

(٦) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٣٢.

(٧) الرازي ، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٢٣ هـ ، ص ٢٠٦.

أقواله؛ أثمر ذلك عنده الخوف والمهابة لله[١]، وهذا يؤدي بالعبد؛ إلى الحذر من الذنوب، لدرجه أنه يترك بعض الحلال الذي تكون فيه شبهة؛ مخافة أن يقع في الحرام، وذلك هو **مقام الورع**، الذي هو أفضل الأعمال، كما قال يحيى ابن كثير [٢].

فإذا ما كان ذلك وصح للعبد تزكية نفسه بالورع؛ انجلت مرآه قلبه وظهر قبح الدنيا فيها، فيحصل الزهد، إذ إن آخر درجة من الورع، أول درجة في الزهد، كما قال المحاسبي [٣]. فيتجه العبد إلى **الزهد في الدنيا**، والرغبة في الاستعداد ليوم الرحيل [٤].

والحقيقة أن مقام الزهد عند ابن القيسراني والصوفية من أهم المقامات، إنه أساس الطريق الصوفي كما يقول الطوسي: «أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، فمن لم يحكم أساسه في الزهد؛ لم يصح له شيء مما بعده؛ لأن حب الدنيا رأس كل خطية، والزهد في الدنيا، رأس كل خير وطاعة»[٥].

على أن جوهر الزهد عند ابن القيسراني؛ هو أن يزهد السالك في الدنيا، ويقصر أمله فيها؛ بترك متعلقاتها، والإعراض عن زخارفها، وخصوصا المال الذي هو من زينتها، فيتصدق به، وينفق منه على الضعفاء والمساكين، وابن السبيل، كما نبهنا الشرع [٦].

---

(١) انظر: العز بن عبد السلام السلمي ، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام ، ج ١ ، تحقيق د/ نزيه كمال حماد ، د/ عثمان ضمرية ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ٢٠٥ .
(٢) ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٤٤٨.
(٣) المحاسبي ، كتاب القصد والرجوع إلى الله ، ص ٢٣٧.
(٤) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٣٣٣.
(٥) السراج الطوسي ، اللمع ، ص ٧٢.
(٦) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ٤٣٣-٤٣٥.

فإذا ما تحقق للعبد هذا المقام الرفيع، وأصبح من الزاهدين في الدنيا، بخلو قلبه من التعلق بها وبزخارفها، وجب على العبد أن يتخذ من **الصبر** سفينة، تعينه في طريقه إلى الله على البليات والطاعات.

فالصبر مقام مهم من مقامات السالكين إلى الله، أمرنا به الرسولﷺ؛ فقال: «من تصبر؛ يصبره الله، ومن يستعفف؛ يعفه الله، ومن يستغن؛ يغنه الله، وما أعطى الله أحدا خيرا من الصبر» (١).

وللصبر عند ابن القيسراني أنواع، فمنه الصبر على الأذى(٢)، ومنه الصبر على المصائب وكتمانها(٣)، ومنه الصبر على الفاقة(٤).

وبعد الصبر، يأتي **التوكل** بوصفه مقامًا مهمًّا من مقامات السائرين إلى الله؛ إذ إن العبد، واجب عليه أن يتوكل على الله تعالى في سائر أحواله؛ ذلك لأن هذا المقام ملازما له في سيره لا يفارقه؛ فهو يصاحبه من أول قدم يضعها في الطريق، إلى نهاية الطريق، وكلما ازداد قربه وقوي سيره؛ ازداد توكلا على حد قول ابن قيم الجوزية (٥).

هذا المقام أمر الله به عباده المؤمنين؛ فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٦)، ودعانا إليه رسوله الأمين؛ فقال: «لو توكلتم على الله حق

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، باب فضل التعفف والصبر ، ص ٥٢٤.

(٢) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٤٩٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ، ص ٥٠٠.

(٤) انظر: المصدر السابق ، ص ٤٥٢.

(٥) ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، المجلد١، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، سنة ١٤٢٩هـ، ص٥٥٧ ٥٥٧.

(٦) سورة التوبة ، آية ، ٥١.

توكلـه؛ لـرزقكم كمـا يـرزق الطيـر تغـدو خماسـا وتعـود بطانـا» [١]؛ ولـذلك جعلـه الصـوفية أعلـى مقامـات اليقـين، وأشـرف أحـوال المقـربين، وجعلـوه مسـلكهم؛ فتوكلوا على الله في سائر أحوالهم [٢].

وقد تعدد تعاريف الصوفي للتوكل؛ فمنهم من قال: هو اعتماد القلب على الله تعالى [٣]، ومنهم من قال: هو ترك تدبير النفس، والإقلاع من الحول والقوة [٤]، ومنهم من قال: هو أن يكون العبد لله تعالى، كما لم يكن، ويكون الحق له كما لم يزل [٥]، وقال آخرون: هو الاعتماد على الله تعالى، وإزالة النفع عمن سواه، والعلم بأنه قدر المقادير، وضمن الأرزاق، وجعل لكل خلق رزقا معلوما، وكيلا موزونا [٦].

هذه التعريفات كلها، تؤكد أن التوكل؛ يعني تعلق القلب بالله وحده، والطمأنينة إلى كفايته في جميع الأمور، وفي جميع الأوقات؛ لأنه تعالى، هو وحده المتفرد بالضرر والنفع، والخفض والرفع، فأصل التوكل؛ هو إكالة الأمر إلى الله في جميع الأمور.

ولكن هل التوكل بهذا المعنى لدى الصوفية، يتعارض مع الأخذ بالأسباب؟

هنا نجد ابن القيسراني، يؤكد أن التوكل على الله، لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب؛ بدليل أنه كان يأخذ بالأسباب في جميع أفعاله- كما تبين لنا في المبحث

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ص ٢٥٢.

(٢) الطوسي ، اللمع ، ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٩.

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٨.

(٥) السلمي ، سلوك العارفين ، ص ٥٧٠.

(٦) اللجائي ، محجة السعادة ، ص ٨١.

الأول– في رحلته لطلب العلم، بل إنه كان من أشد المنكرين على البطلة المتنطعين، الذين ركنوا إلى التوكل، ولم يأخذوا بالأسباب، ويستدل لذلك من السنة [١].

فإذا ما تم للعبد التوكل على الله حق التوكل؛ فإنه يرقى إلى **مقام الرضا**، الذي يعد أشرف مقامات الذاهبين إلى الله تعالى عند الصوفية [٢]، إنه عندهم «باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين» [٣].

وابن القيسراني، يستدل على هذا المقام الرفيع من السنة، التي دعتنا إلى الرضا؛ لأن الرضا والتسليم بالقضاء؛ من لوازم الايمان، كما أخبرنا النبيﷺ في قوله: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالاسلام دينا، ومحمد رسولا» [٤].

هذا المقام عند ابن القيسراني والصوفية، يعني تسليم القلب، وسكون النفس إلى ما قدره الله تعالى، من غير نكير عليه فيما قضى، أي ترك السخط والسرور، والفرح والتسليم بكل ما قدره الله تعالى على عباده [٥].

فإذا ما حصل العبد مقام الرضا وأصبح من الراضيين، أضحت نفسهم مهيئة لقبول المنح الالهية، التي ليس للعبد دخل فيها، وهو ما يعرف بالحال، الذي استدل عليه ابن القيسراني من السنة بقول النبي: « إن المؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذلها، ولا ينافس أهلها في عزها، لأهلها حال، وله حال

---

(١) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٤٦٦.

(٢) الطسي ، اللمع ، ص ٨٠.

(٣) الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، ص ١٣٠.

(٤) انظر: ابن القيسراني ، صفوة التصوف ، ص ٤٦٦-٤٦٧. وانظر الحديث: صحيح مسلم ، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا ، ص ٣٩.

(٥) انظر: العز بن عبد السلام السلمي ، قواعد الأحكام ، ج ١ ، ص ٣٦٠.

آخر قد أهمه الناس منه في راحة، ونفسه عنه في شغل»[1]. ولم يهتم ابن القيسراني بأن يفصل القول في الأحوال، مثلما فصل في المقامات، وإنما اكتفى فقط بذكر الحال، والإشارة إلى أنه ما يحل بالقلوب، مكتفيا بذكر بعضا من هذه الأحوال مثل الوجل على انه باب من ابواب الحال، والخوف، والصفاء، واستدل عليها من السنة وذلك دون أن يفصل القول فيها.

وبذلك نستطيع أن نقول إن ابن القيسراني قد قدم لنا تصورا للطريق الصوفي وفقا لتجربته الصوفية الخاصة، التي عمد فيها إلى الإلتزام بالشريعة ظاهرا وباطنا، مما كان له أثره على من جاء بعده من المتصوفة السنيين الذين ساروا في نفس الاتجاه.

(١)الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة لشخصية محمد بن طاهر المقدسي، الشهير بابن القيسراني؛ نستطيع أن نقول إن هذه الدراسة قد أظهرت لنا عدة نتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولا: تبين لنا من هذه الدراسة أن ابن القيسراني المقدسي، كان واحدًا من أبرز أعلام التصوف السني الإصلاحي في القرن الخامس الهجري، وأنه في تصوفه، يمثّل نموذجًا متميزًا للصوفي السني المتشرع، الذي سعى إلى إصلاح التصوف من الداخل، محافظًا على أصوله التربوية والروحية، ومنقيا إياه من الانحرافات الفكرية والسلوكية، التي علقت به؛ نتيجة ممارسات بعض المنتسبين إليه.

ثانيًا: يُعد منهج ابن القيسراني في التصوف؛ امتدادًا طبيعيًّا لمدرسة التصوف السني الإصلاحي، التي برزت مع كبار الصوفية، أمثال الجنيد البغدادي، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي القاسم القشيري، والهروي الأنصاري، وغيرهم؛ حيث التزم ابن القيسراني بضوابط الشريعة، ورفض كل مظاهر الغلو والابتداع، وأكد ضرورة التمسك بالكتاب والسنة بوصفهما مرجعية رئيسة لتصحيح مسار المتصوفة.

ثالثًا: برزت لدى ابن القيسراني، نزعة نقدية صريحة ضد المتشبهين بالصوفية، والغلاة والمنحرفين منهم؛ حيث لم يتردد في انتقاد الممارسات الباطلة، والادعاءات الفاسدة التي ظهرت بين بعض الصوفية، كأحمد الغزالي، وجماعة الملامتية، وغيرهم، مبينًا أن هذه الانحرافات؛ أساءت إلى التصوف، وكانت سببًا رئيسًا في هجوم العلماء والفقهاء على التصوف والصوفية.

رابعًا: كشفت هذه الدراسة، عن الأهمية العلمية لمصنفات ابن القيسراني، التي عكست التزامه بالتصوف السني الرصين، لا سيما كتابه "صفوة التصوف"، الذي يُعدُّ دفاعًا

أكاديميًّا ومنهجيًّا عن التصوف الصحيح، المرتكز على الشريعة، وكتاب "السماع"، الذي عالج فيه قضية السماع الصوفي بدقة؛ فأثبت إباحته، وفند آراء المنكرين له، بالأدلة الشرعية والنقول الموثوقة؛ والتي تؤكد مدى التزامه للشريعة في تصوفه.

خامسًا: تأكد لنا من سيرة ابن القيسراني العلمية والروحية؛ أن التصوف عند لم يكن معزولًا عن العلم الشرعي، بل كان جزءًا من تكوينه العلمي المتكامل؛ إذ جمع بين علوم الحديث، والفقه، والتصوف، وشهدت رحلاته المتعددة إلى الحجاز، والعراق، وخراسان، تلمذته على كبار الشيوخ المتشرعين في الفقه والحديث والتصوف؛ مما أسهم في نضجه الفكري، وعمق تجربته الصوفية.

سادسًا: أبرزت هذه الدراسة إسهام ابن القيسراني، في حركة التصوف السني الإصلاحي، التي سادت في القرن الخامس الهجري، خاصة في ظل رعاية الحكام السنيين لهذه الحركة، وتوظيفهم للتصوف المنضبط، بوصفه وسيلة لتقوية الهوية السنية في مواجهة الانحرافات والتيارات الباطنية.

سابعًا: تبين لنا من هذه الدراسة، أن ابن القيسراني كان جزءًا من تيار أوسع من صوفية القرن الخامس الهجري، الذين سعوا إلى تهذيب التصوف، وإزالة الانحرافات، وتقريبه إلى الفقهاء وأهل السنة، خاصة في ظل دعم الحكام السنيين للحركة الصوفية المنضبطة، وتوظيفهم للتصوف المنضبط، بوصفه وسيلة لتقوية الهوية السنية في مواجهة الانحرافات والتيارات الباطنية؛ مما أسهم في هيمنة التصوف السني، واندثار التصوف الفلسفي أو المنحرف في ذلك العصر.

ثامنًا: أظهرت هذه الدراسة؛ أن ابن القيسراني اهتم اهتماما كبيرا بالطريق الصوفي؛ وأنه بين لنا ماهيته وشروطه، كما أنه عدَّد لنا منازله، من مقامات، وأحوال، ملتزما في ذلك بالشريعة.

وأخيرا: يمكن لنا القول إن شخصية ابن القيسراني، وتجربته الصوفية الإصلاحية، تمثل إضافة نوعية لمسيرة التصوف السني؛ مما يؤكد ضرورة استحضار هذا النموذج المتوازن، في ظل ما يشهده واقع التصوف في وقتنا الراهن من تحديات، تحتاج إلى إحياء الروح الإصلاحية، التي تجمع بين الشريعة والحقيقة، كما كان عليه ابن القيسراني وأقرانه من أعلام التصوف السني الرشيد.

تلك هى أهم النتائج التى توصلنا إليها من هذه الدراسة، وإنى لأرجو الله العليَّ القدير؛ أن أكون قد وفقت في دراستي هذه، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم (د/ مجدي محمد): التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط ١ ، ٢٠٠٢.

٢. ابن الأثير (أبو الحسن علي الشيباني) : الكامل في التاريخ، تحقيق رعمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.

٣. ابن الجوزي (جمال الدين) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢.

٤. ـــــــــــ: تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ٢٠٠١.

٥. ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي) : شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط ١، ١٩٨٦.

٦. ابن القيسراني(محمد بن طاهر المقدسي): أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني، تحقيق محمود محمد نصار، والسيد يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.

٧. ـــــــــــ: المنثور من الحكايات والسؤالات، تحقيق د/ جمال عزون، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط ١، ١٤٣٠ هـ.

٨. ـــــــــــ: المؤتلف والمختلف، المعروف بالأنساب المتفقة، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١.

٩. ـــــــــــ: تذكرة الموضوعات، تصحيح محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١، ١٣٢٣ هـ.

١٠. ـــــــــــــ: ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ، المجلد الأول، تحقيق د/ عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٩٩٦.

١١. ـــــــــــــ: شروط الأئمة الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

١٢. ـــــــــــــ: صفوة التصوف، تحقيق/ غادة المقدم، دار المنتخب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥.

١٣. ـــــــــــــ: كتاب السماع، تحقيق/ أبو الوفا المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٥.

١٤. ـــــــــــــ: مسألة التسمية، تحقيق ودراسة عبد الله بن على مرشد، مكتبة الصحابة، جدة، ١٤١٣ هـ.

١٥. ـــــــــــــ: مسألة العلو والنزول في الحدوث، تحقيق/ صلاح الدين مقبول، مكتبة ابن تيمية، الكويت،١٩٨١.

١٦. ـــــــــــــ: مسند الحجة على تارك المحجة، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٧.

١٧. ـــــــــــــ: معرفة الألقاب، تحقيق/ عدنان حمود أبو زيد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١.

١٨. ابن الملقن (سراج الدين عمر بن علي) : طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٤.

١٩. ابن تيمة (أحمد بن عبد الحليم) : الاستقامة، تحقيق د/ محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ٢، ١٩٩١.

٢٠. ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار المسمى بالرحلة، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٢١. ابن حنبل (الإمام أحمد): المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٥٥- ١٩٩٧ .

٢٢. ابن خلدون (شمس الدين أبو العباس) : المقدمة، تحقيق أبو مازن المصري وكمال سعيد فهمي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ.

٢٣. ابن خلكان (أحمد بن محمد) :وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد ٤، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١.

٢٤. ابن شاهاور الرازى (أبو بكر عبد الله): منارات السائرين ومقامات الطائرين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، سنة ١٩٩٣ .

٢٥. ابن عساكر(أبو القاسم على بن الحسن): تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٣، دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧.

٢٦. ابن كثير(عماد الدين اسماعيل بن عمر): البداية والنهاية، تحقيق د/ رياض عبد الحميد مراد، دار ابن كثير، دمشق، ط ٢، ٢٠١٠.

٢٧. ــــــــــــ: طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤.

٢٨. ابن نقطة (أبو بكر محمد الحنبلي): التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المجلد الثاني، تحقيق أبو إدريس التشادي، دار النوادر بيروت، ط١، ٢٠١٤.

٢٩. ـــــــــــــ: تكملة الإكمال، تحقيق د/ عبد القيوم عبد رب النبي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٩١.

٣٠. الأصفهاني (أبي نعيم): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ .

٣١. التستري (أبو عبد الله سهل): تفسير القرآن العظيم، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤.

٣٢. التفتازاني (د/أبو الوفا): مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤.

٣٣. الثامري (إحسان ذنون): الحياة العلمية في زمن السامانيين، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف أ.د/ عبد العزيز الدوري، الجامعة الأردنية، سنة ٢٠٠٠.

٣٤. الجامي (عبد الرحمن): نفحات الأنس من حضرات القدس، تحقيق محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

٣٥. الجرجاني (الشريف علي بن محمد): التعريفات ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

٣٦. الجوزية (ابن القيم): طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي ، المجلد١، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ط١ ، سنة ١٤٢٩هـ .

٣٧. الجيلاني (عبد القادر): الغنية لطالبي طريق الحق ، تحقيق محمد خالد عمر، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٦ .

٣٨. الحموي(ياقوت): معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

٣٩. الحميري (ابن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠.

٤٠. الحنبلي (مجير الدين): الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، ج ١، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ط ١، ١٩٦٦.

٤١. الخركوشي (عبد الملك): تهذيب الأسرار، تحقيق بسام محمد بارود ، أبو ظبي ، الإمارات ، ١٩٩٩.

٤٢. الدارقطني (على بن عمر): سنن الدارقطني، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١، ٢٠٠٤.

٤٣. الدقاق (محمد بن عبد الواحد): رسالته في وصف حاله وأمره وشيوخه، تحقيق عبد الرحمن حسن قائد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠١٤.

٤٤. الدمياطي (شهاب الدين): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ محب الدين بن النجار البغدادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦.

٤٥. الذهبي(شمس الدين): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.

٤٦. ـــــــــــــ: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

٤٧. الرازي (فخر الدين): لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٢٣ هـ .

٤٨. الراوندي (محمد بن علي): راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة أمين الشواربي وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٤٩. الزنكي (نجم الدين قادر): وحسن إبراهيم الحوسني، المذهب الظاهري نشأته ورجاله- أصوله وسماته، بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد ١٩، العدد ٤، ديسمبر ٢٠٢٢.

٥٠. السامرائي (د/ قاسم حسن): جامع المنصور ببغداد وأثره في تطور الحركة الفكرية في العصور العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢.

٥١. السبتي (القاضي عياض): ترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج ١، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، المطبعة الملكية، الرباط، ط ٢، ١٩٨٣.

٥٢. ـــــــــــ: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، سنة ١٩٧١.

٥٣. السراج الطوسي (أبو نصر): اللمع ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثه بمصر، ١٩٦٠.

٥٤. السلمي (أبو عبد الرحمن): التصوف والزهد، دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بنها، ط ١، ١٩٩٣.

٥٥. ـــــــــــ: المقدمة في التصوف، تحقيق د/ سليمان إبراهيم آتش، منشور ضمن تسعة كتب في أصول التصوف والزهد، دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بنها، ط ١، ١٩٩٣.

٥٦. ـــــــــــ: طبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٨.

٥٧. ـــــــــــ: كتاب بيان الشريعة والحقيقة، تحقيق محمد سوري ، نشرت ضمن مجموعة آثار عبد الرحمن السلمي ، طهران ، ١٣٨٨ هـ.

٥٨. ـــــــــــــ: مناهج العارفين، تحقيق د/ سليمان إبراهيم آتش، منشور ضمن تسعة كتب في أصول التصوف والزهد، دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بنها، ط ١، ١٩٩٣.

٥٩. السلمي (العز بن عبد السلام): قواعد الأحكام في إصلاح الأنام ، تحقيق د/ نزيه كمال حماد ، د/ عثمان ضمرية ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٥ .

٦٠. السمعاني(أبو سعد): الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

٦١. السهروردي (أبو حفص عمر بن محمد): عوارف المعارف ، تحقيق د/عبد الحليم محمود ، د/ محمود بن الشريف ، دار المعارف ، القاهرة، بدون تاريخ .

٦٢. السيوطي(جلال الدين): طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣.

٦٣. الشعراني (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد): الطبقات الكبري ، تحقيق أحمد السايح وتوفيق علي وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١، ٢٠٠٥ .

٦٤. الصفدي(صلاح الدين): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠.

٦٥. العجم (د/ رفيق): موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٩.

٦٦. الغزالي (أبو حامد): إحياء علوم الدين، المنجيات ، تقديم د/ بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا ، إندونسيا ، بدون تاريخ .

٦٧. الغزالي (أبو حامد): الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق/ أنس محمد عدنان، طبعة دار المنهاج، جدة، ط ٢، ٢٠١٦.

٦٨. الفراني (عبد الحميد جمال): المؤسسات والمراكز العلمية في القدس، بحث منشور في مجلة الجنان، الصادرة عن مركز البحث العلمي بجامعة الجنان، العدد ٦، دار المنى للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠١٤.

٦٩. الفريوائي (د/ عبد الرحمن): مقدمة تحقيقه لكتاب ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ، لمحمد ابن طاهر المقدسي، المجلد الأول، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٩٩٦.

٧٠. القاشاني (عبد الرازق): لطائف الإعلام في اشارات أهل الإلهام ، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، مادة مقام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥.

٧١. القزويني(أبو عبد الله زكريا): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩.

٧٢. القشيري (أبو القاسم): الرسالة القشيرية ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف ، مطابع مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٧٣. الكبري (نجم الدين): رسالة الأصول العشرة في الطريق، نشرها د/ قاسم السامرائي ضمن كتاب التصوف البغدادي والخراساني ، دار الوراق للنشر ، بيروت، ط ١ ، ٢٠١٣ .

٧٤. الكلاباذي (أبو بكر): التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ .

٧٥. الكيلاني (السيد ميعاد شرف): تاريخ تكايا بغداد والمشيخة الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤.

٧٦. اللجائي (أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف): شمائل الخصوص ، تحقيق: د/ آدم شاتاك وأحمد فورال ، مجلة التصوف، المجلد ٢١، عدد ٤٢، جامعة صباح زعيم بإستنبول، تركيا، ٢٠١٨.

٧٧. اللجائي (أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف): شمس القلوب، تحقيق د/محمد الديباجي ، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.

٧٨. اللجائي (عبد الرحمن): محجة السعادة ، حققه ونشره آدم جيتاك ، أنقرة ، تركيا ، ط ١، ٢٠٢٢ .

٧٩. المحاسبي (الحارس بن أسد): الرعاية لحقوق الله، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠.

٨٠. المدني (رشا عمر): الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف د/ رياض مصطفى شاهين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٥.

٨١. المقدسي(شمس الدين محمد بن أحمد): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، ١٨٧٧.

٨٢. المقريزي(تقي الدين): المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩١.

٨٣. المناوي (عبد الرؤوف): الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق د/ عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠.

٨٤. المهيني (محمد بن المنور): أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة د/ إسعاد قنديل، الدر المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٩٦.

٨٥. الهجويري (أبو الحسن علي بن عثمان): كشف المحجوب، ترجمة وتعليق د/ إسعاد قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧.

٨٦. الهروي (أبو إسماعيل): منازل السائرين إلى الحق جل شأنه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٦.

٨٧. بن دهيس(د/ عبد اللطيف): الكتاتيب في الحرمين الشريفين وماحولهما، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٨٦.

٨٨. حلمي (محمد مصطفى): الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٤.

٨٩. زروق (الشيخ أحمد): شرح الحكم العطائية، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٥.

٩٠. زروق(الشيخ أحمد): قواعد التصوف وشواهد التعرف ، تحقيق عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ .

٩١. سزكين (د/ فؤاد) تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، ج ٣، ترجمة د/ محمود فهمي حجازي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩١.

٩٢. شميل(آنا ماري): الأبعاد الصوفية في الإسلام، ترجمة محمد إسماعيل السيد، د/ رضا حافظ، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط ١، ٢٠٠٦.

٩٣. عثمانة (محمد سعيد): الحركة العلمية في عصر الدولة الغزنوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف أ.د/ محمد ضيف الله بطاينة، جامعة اليرموك، الأردن، سنة ٢٠٠٦.

٩٤. عفيفي (د/ أبو العلا): الثورة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣.

٩٥. عفيفي (د/ أبو العلا): الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، منشورات الجمل ، بيروت ، ٢٠١٥ .

٩٦. عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ آل سلجوق ، القاهرة ، ١٨٨٩.

٩٧. غنى (د/ قاسم): تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠١٧.

٩٨. قربلي (محمد كامل): الحياة العلمية في القدس في العهد الأرتقي والأيوبي، بحث منشور في مجلة دراسات بيت المقدس، العدد ٢٠، المجلد ٣، إنجلترا، ٢٠٢٠.

٩٩. قنديل (د/ سعاد): فنون الشعر الفارسي، دار الأندلس، بيروت، ط ٢، ١٩٨١.

١٠٠. مسلم(الإمام أبي الحسين): صحيح مسلم ، دار المغني للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٨.

Ibn al-Qaysarani al-Maqdisi and Sufism

Abstract:

This research examines and analyzes the personality of Abu al-Fadl Muhammad ibn Tahir al-Maqdisi, known as Ibn al-Qaysarani (d. 507 AH), as one of the leading figures in reformist Sunni Sufism in the fifth century AH. He combined the science of hadith with a disciplined Sufi experience.

I aimed through this research to study a distinctive model of a reformist Sufi who sought to reform Sufism from within, while preserving its authentic spirit and educational objectives. This is an attempt on my part to shed light on this important Sufi figure of the fifth century AH, who has not received the attention he deserves, unlike other reformist Sufis of this century, such as al-Qushayri and al-Ghazali.

In this research, I have adopted the historicalal approache, Analytical approachand comparative approache, as the research required. I will present Ibn al-Qaysarani's life and the state of Sufism during his era through a historical approach. which I will also use the analytical approach to analyze his Sufi side. Through the texts included in his various works, I will also use the comparative approach to compare his views with those of other scholars and Sufis.

Keywords: Ibn al-Qaysarani ، Sufism ، The Sufi Path ، Sufi Sama.